من

التراث الإسلامى الأندلسى

كتاب الجغرافية

لأبى عبدالله محمد بن أبى بكر الزهرى

بقلم

الدكتورة / ناويسان درويش

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا

مقدمة :

يهدف البحث إلى إبراز الفكر الجغرافى الإسلامى الأندلسى الذى كون جزءا لا يتجزأ من التراث الجغرافى للمدرسة الجغرافية العربية الثانية التى بدأت منذ القرن العاشر الميلادى وضمت من بين أعلامها كثيرا من كتاب العرب الذين تذخر المكتبة العربية بتراثهم البارز فى مجال الجغرافية الفلكية والإقليمية والمعاجم والخرائط .

ويعتمد هذا الإبراز على تحليل ما احتواه "كتاب الجغرافية - وما ذكرته الحكماء منها من العمارة ومافى كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوى على الأقاليم السبعة ومافى الأرض من الأميال والفراسخ لصاحبه أبى عبدالله محمد ابن أبى بكر الزهرى المتوفى فى أواسط القرن السادس الهجرى والذى حققه محمد حاج صادق [1] .

وكتاب الجغرافية - بالعين المهملة - كتاب معروف وفى نفس الوقت مجهول ، معروف لأن كتاب العرب القدماء نقلوا الصفحات الطوال عنه ولم يذكروا اسم مؤلفه ، كما أن نساخ المغرب العربى تناقلوه أيضا وصاروا على نفس الدرب من ناحية إهمال اسم المؤلف . فقد نقل عن الزهرى بعض القدماء مثل ابن سعيد المغربى المتوفى عام٦٨٥هـ /١٢٨٦م . فى كتاب البدء وتاريخ آدم " ، وأحمد

---

(١) أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزهرى - كتاب الجغرافية - وماذكرته الحكماء من العمارة ومافى كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوى على الأقاليم السبعة ومافى الأرض من الأميال والفراسخ - تحقيق محمد حاج صادق - دون تاريخ ودون مكان للنشر ، ص ٣١٠ .

ابن على المحلى المعروف بابن زنبل الـــذى عـــاش فـــى القـــرن العاشـــر الهجرى (السادس عشر الميلادى) فى "تحفة الملـــوك والرغـــائب بمـــا فـــى البر والبحر من العجائب والغرائب " ، وأيضا المقـــرى المتوفـــى فـــى عـــام ١٦٣٢م . فى "نفح الطيب" . وقـــد انتبـــه إليـــه المستشـــرقون فـــى القـــرن الماضى فنشروا نبذا مترجمة أو منقولـــة تتعلـــق علـــى وجـــه الخصـــوص ببلاد المغرب [١] .

وقد وجدت مخطوطات كثيرة مـــن هـــذا الكتـــاب مـــن بينهـــا مـــا وجدت فى المتحف البريطانى ، وفـــى جامعـــة الجزائـــر والمكتبـــة العامـــة بباريس ، ومكتبة الرباط العربيـــة والخزانـــة الوطنيـــة بـــالجزائر وخزانـــة جامع الزيتونـــه بتونـــس ، والخزانـــة الوطنيـــة بـــالجزائر . وأقـــدم هـــذه المخطوطات نسخة باريس التى نسخت بعـــد عصـــر المؤلـــف بنحـــو ٢٠٠ عاما .

مؤلف كتاب الجغرافيـــة:

أورد أبو عبدالله محمد بن أبـــى بكـــر الزهـــرى فـــى مؤلفـــه أنـــه زار فى عام ٥٣٢هـ (١١٣٧م) أصحاب الكهف بقرب لوشـــه فـــى عمـــل غرناطه وأنه فى سنة ٥٤١هـ (١١٥٤م) اجتمـــع فـــى شـــقوره بمواطـــن عائد من القدس .... وأنه فـــى تـــاريخ ثـــالث عـــن معـــاصر لـــه اشـــتهر بالمغامرة أمام الفتنة التى كانت آنذاك تسود بـــلاد الأندلـــس وهـــو إبراهيـــم

---

(١) أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الزهرى – كتاب الجعرافية –وماذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافى كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوى علـــى الأقـــاليم السبعة ومافى الأرض من الأميال والفراسخ – تحقيق محمد حـــاج صـــادق – دون تاريخ ودون مكان للنشر ،ص٣١٠ .

بن همشك غير أنه لا يذكر له حادثا هاما قام به فى عام ٥٥٦هـ (١١٦١م) وهو استيلائه على حاضرة غرناطه ، وأنه بمقارنة هذه التواريخ الثلاثة يتضح أن الزهرى توفى بعد عام ٥٤١هـ (١١٥٤م) وقبل عام ٥٥٦هـ(١١٦١م) وأنه معاصر للإدريس ولأبى حامد الغرناطى [١]

وينسب أبو عبدالله محمد بن أبى بكر الزهرى إلى قبيلة بنى زهره بن كلاب التى كانت تخيم حول مكة المكرمة والتى أنجبت أعلاما من الفقهاء والمحدثين فى مغارب ومشارق دار الإسلام . ويبدو أن الزهرى كان من فرعها الأندلسى وإن لم يرد فى المصادر ما يشير إلى ذلك لأن كل ما يعرف عنه مرده إلى كتابه "الجغرافية" فأندلسيته واضحة من التفاصيل الدقيقة التى أوردها عن تلك البلاد التى تحدث عنها حديث العارف بمواطن الأمور ، والخبير بمكنون تراثها ذلك بالإضافة إلى استخدامه صيغة المتكلم عند الحديث عن بلاد الأندلس حيث يتردد القول "زرت - بحثت - قلت - وجدت - رأيت - شاهدت سألت " وكلها عبارات لم يرد ذكرها فى أى مكان آخر تعرض له الزهرى ، الأمر الذى قد يؤيد نشأته وتربيته ووفاته فيها ، كما يرجع أنه من حاضرة اطربه لأنه يتحدث عنها كثيرا ويؤثرها بعناية خاصة [٢]

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٠٩ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص٣٠٨ .

مصادر المعرفـــة:

يذكر ياقوت الحموى فى "معجم البلـــدان" أن مـــن قصـــد العمـــران من القدماء والفلاسفة والحكمـــاء ومنهـــم بطليمـــوس ، ســـموا كتبهـــم فـــى التراث " جغرافيا " سمعت من يقوله بالعين المعجمـــة والمهملـــة ، ومعنـــاه صـــورة الأرض [١]

وأشار كرلونلينو نقلا عـــن كتـــاب " الـــدر المنتخـــب فـــى تـــاريخ حلب " لمحمـــد ابـــن الشـــحنة (بـــيروت – ١٩٠٩ –ص ١٦٢) أن علمـــاء العرب فى العراق والشـــام ومصـــر فـــى القـــرون الوســـطى زعمـــوا أن "جغرافيا" اسم من الأعلام الأعجمية فمـــا عرفـــوه أبـــدا بـــأداة تعريـــف ولا قيدوه فى كتب اللغـــة" [٢] .

وجاء فـــى دائـــرة المعـــارف الإســـلامية " أن كلمـــة "جغرافيـــا " (وينطبق بها أحيانا بفتح الجيم) لم تســـتعمل للدلالـــة علـــى علـــم الجغرافيـــا إلا متأخرا [٣] .

وقـــد جـــاء فـــى المعجـــم العربـــى اللاتينـــى المعـــروف باســـم Vocabulista الذى أعده أحد رهبان القرن الثالث عشـــر الميـــلادى لفـــظ "جغرافيـــة " بـــالعين المهملـــة مرتيـــن أحدهمـــا فـــى صفحـــة ٨٠ أمـــام

---

(١) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبدالله الحموى) – معجـــم البلـــدان ، خمســـة مجلدات ، طبعة بيروت ، ١٩٥٥ ، ص ص ١٠ ، ١١ .

(٢) كرلونينو – علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون الوســـطى – رومـــا – ١٩١١ – ص٧٨ .

(٣) احمد الشناوى وآخرون – دائرة المعارف الإسلامية – مراجعة محمـــد جـــاد المولى – القاهرة ، ١٩٣٠ .

كلمةMap أى خريطة وفى صفحة ٤٦٩ أمام كلمة Mapa Mundi أى خريطة الدنيا [١]

فمعنى كلمة " جغرافية " - وذلك جاريا على لغة كتاب المغرب والأندلس فى الأصل الخريطة ، والخريطة المثالية فى نظرهم هى خريطة الخليفة المأمون التى نسخت عنها غيرها . وصاحب الخريطة أى "الجغرافية" التى نسخ عنها نسخته والذى سجل اسمه معظم النساخ هو "العزارى" نسبة إلى قبيلة فزاره التى ينتمى إليها هى الأخرى فى الجاهلية والإسلام عدد من الأعلام فى الحجاز والشام والعراق ومصر وفارس وأفريقية والأندلس وإن كانت المصادر التى احتفظت بأسمائهم لا تذكر من بينهم جغرافيا ، وذلك لأن هذه اللفظة التى هى من الدخيل - لم تستقر فى لغة العقاد إلا فى زمان متأخر [٢]

ولكن تذكر المصادر أن من بين قبيلة فزاره منجمين ، والمنجم يومئذ كان ذلك الذى يختص بعلم الهيئة والنجوم والرياضيات ومساحة الأرض وهى الجغرافيا بمعناها العام والفزاريان المنجمان هما أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب وابنه أبو عبدالله محمد ابن إبراهيم . وتنسب المصادر إليهما بدون تميز عدة مؤلفات فى الزيج والنجوم والاسطرلابات وتسطيح الأرض ، غير أنه لم يصلنا من هذه المؤلفات إلا بعض المقتطفات التى نقلها عنهما من أمثال ابن قتيبه والمسعودى وياقوت وابن النديم وابن القفطى والصفدى والأسيوطى . وإن مناقشة

---

(١) حسين مؤنس - تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس - معهد الدراسات الإسلامية مدريد - ١٩٦٧ - ص ٣٦٩ .

(٢) الجغرافية ، ص٣٠٨ .

هذه المصادر تقودنا فى النهاية إلـــى أبـــى عبداللـــه محمـــد بـــن إبراهيـــم الفزارى - أحد تلاميذ الأصمعى - عاش فـــى بغـــداد فـــى أواخـــر القـــرن الثانى الهجرى وأوسط الثالث فى السنوات الأخـــيرة مـــن خلافـــه المـــأمون هارون الرشيد وأن مؤلفاته هـــى :

أ- كتاب الزيج عن سنى العـــرب وهـــو كتـــاب منقـــول عـــن الفهلويـــه ضاع تماما .

ب- قصيدة فى هيئة النجوم وهـــى عبـــارة عـــن أرجـــوزة طويلـــة فـــى عشر مجلدات على زعم بعضهم لم يصلنـــا منهـــا إلا بعـــض أبيـــات بفضل المســـعودى .

جـــ - كتاب تسطيح الكرة الذى اتخذت سائر الكتـــب مثـــالا علـــى مـــا قيل . ولعل هذا الكتاب هو الذى تضمـــن الخريطـــة التـــى نســـخ الزهرى منها نسخته أى " جغرافية " وهـــى مـــن ناحيـــة أخـــرى منسوخة عن جغرافية المأمون . وقـــد قـــام أبـــو عبداللـــه محمـــد الزهرى بشرح هذه النسخة معتمـــدا علـــى :

١- مشاهدته الشخصية خاصة فيمـــا يعـــود علـــى الديـــار الأندلســـية ويبدو ذلك فى وصفه مدينة سرقسه الأندلسية حيـــث يذكـــر أنهـــا " مدينة عظيمة قديمة البناء ، يقال أنهـــا مـــن بنيـــان القســـطنطين الذى كان على عهد سيدنا محمد صلى الله عليـــه وســـلم . ومـــن عجائب هذه المدينة أنهـــا مردومـــه ، وســـورها (دورهـــا) مـــن الكزان المنحور (المنحوت) المدخل ذكرا فـــى أنثـــى... ارتفاعـــه (من الأرض) فى خارجها أربعون ذراعا وأقـــل وأكـــثر ، ومـــن

داخلها معتدل مع الأزقة والشوارع وابعد ما يكـــون مـــن داخلهـــا من خمسة أذرع وديارها كلها بـــــارزة علـــى أســـوارها وتســـمى بالمدينة البيضاء لأنها تبيـــض وعليهـــا نـــور أبيـــض لا يخفـــى على أحد فى ليل ولا نهار . تزعم الروم أن ذلـــك النـــور عليهـــا منذ بنيت ويقول المســـلمون إنمـــا هـــو عليهـــا منـــذ دفـــن فيهـــا الرجلان الصالحان حنش الصنعـــانى وفرقـــذ الســـنجارى رضـــى الله عنهما ... لقد رأيت فيها الطعـــام مـــن مائـــة ســـنة والعبـــن المعلق من ســـتة أعـــوام ويوجـــد فيهـــا الحمـــض والفـــول مـــن عشرين سنة وأكثر ، ولا يتسوس منهـــا شـــىء مـــن خشـــب ولا ثوب من صوف ولاحريـــــر ولا قطـــن ، وهـــى كثـــيرة الـــزرع والضرع والفواكه حتى لا يكاد يأكل أهلها فاكهـــــة يابســـة لكـــثرة الفواكه عندهم . وهـــى كثـــيرة الـــزرع والبســـاتين وهـــى علـــى النهر الأعظم المسمى بوادى ابـــــره" [١]

وتظهر الخـــبرة الشـــخصية والمشـــاهدة بوضـــوح حيـــن الحديـــث عهن "الكهـــف والرقيـــم [٢] "رأيـــت هـــذا الكهـــف عـــام اثنيـــن وثلاثيـــن

---

(١) الجغرافية " ، ص ٨٢ .

(٢) يقع الكهف والرقيم على بعد ١٢ فرسخا (الفرسخ ٣ أميال) مـــن غرناطـــة . وصورة هذا الكهف جرف عال فيه خمسة أشخاص من بنـــى ادم قـــد يبســـت جلودهم على عظامهم ، إذا نقر فى أحدهم طن طنين النحاس . وقد تقشر مـــن بعض جلودهم شىء ، وذلك بتقليب الناس لهم إلا الأوسط منهم فأنه لم يتغـــير منه شىء والكل منهم صحيح الذات لم ينفصل من احدهم عظم واحـــد وعنـــد قدمى الأوسط منهم عظام كلب ، الجغرافية ، ص ٩٤ .

وخمسمائة وعلى هؤلاء الأشخاص ملحقة من الكتاب وعلى رأس كل واحد منهم شاسة ، غير أنهم فى خلقتهم أعظم ما يكون من الناس فى هذا الزمان وقد يبسوا ، وأما حين كانوا أحياء فكانوا والله أعلم فى أعظم خلقه .... وقد عددت عظام الكلب فلم ينقص منها شيء . ولقد رأيت فى فقار ظهره ثلاثا واربعا مفصلة ومن مفاصله كذلك . ولولا تقليب الناس لما تناثرت عظامه بعضها من بعض ولكان قائم الذات غير أن هذه العظام لم تأكلها الأرض ولا غيرها الدهر" (١)

ومن أغرب ما رأيته وأعجب ما أبصرته من أمر هذا الكهف أنه إذا نظر فيه بعين البصيرة وتدبر بالعقل ظهر فيه برهان أهل الكهف ، وذلك أنه اجتمع فى مدينة لوشه وهى على مقربة من الكهف أقدام من أهل الخلاعة والفساد وجعلوا جعلا لمن يمشى لهذا الكهف ويأتى منه بأمارة واضحة وذلك بالليل . فخرج منهم رجل من أهل غرناطة وصار إلى الكهف على حال خوف وهيبة . وذلك أنه لم يدخله بالنهار مع الخلق الكثير لهيبته ، فلما وصل حمل على نفسه وصبر ودخل إلى الأوسط منهم فقطع أذنه شمليخا من أهل الكهف وارتجت المدينة لذلك . أتى الناس كأنما قادهم قائد إلى ذلك المنزل وكسروا بابه ودخلوا عليه وقالوا لهم : " أين الأذن التى قطعتوها ؟ " فقالوا هذا الذى ساقها " وأشاروا إلى ذلك الشخص فأخذوا الأذن منهم . ثم أخذ القوم محمد بن سعاده .. وكان صاحب الشرطة يومئذ بغرناطه ، فضربهم بالسياط حتى هلكوا . فلما أصبح الله بخير الصباح ، سار محمد بن سعاده ، ومعه جماعة من أصحابه ومن

---

(١) المرجع السابق ، صفحة ١٥ .

الناس إلى الكهف ، فوجدوا أذن الأوسط منهم المعروف بتمليخا قد قطعت ، فخاطوها في موضعها بالخيط والإبرة ، وأمر محمد بن سعاده ببيان سعاده الرقيم الذي كان على الكهف ، وذلك أنه كان عليه أثر مسجد وقد دثر ، فأقامه محمد ابن سعاده ورد محرابه إلى القبلة في عام اثنين وثلاثين وخمسمائة.[1]

٢- تكرارك يصفها بلفظه فلاسفة وأطباء وحكماء وأهل نظر وعلماء بمساحة الأرض وفلكين ومنجمين ومؤرخين لم يذكر أسمائهم .

٣- ما سمعه من مواطنيه المعاصرين الذين سجل لنا بعض أسمائهم ولكن بدون تعريف . ففي حديثه عن "الصخرة بالقدس " التي توجد بين السماء والأرض قال " مازلت أسال عن هذه الصخرة كل من دخل المسجد ورأى البيت فمنهم من قال أن الصخرة معلقة بين السماء والأرض . وقال أهل العدل ومنهم أبو الطيب الدمشقي فإنه اخبرنا بمدينة المرية أن هذه الصخرة مدخولة في حائط من حيطان البيت وقد برز منها خارج الحائط ستة أشبار في العرض وشبر وثلث في غلظها وهي معلقة بين السماء والأرض .[2]

وقد أخبرنا أبو القاسم محمد بن عبد الرحمان الروبط ، وكان من صحاب المستعين بالله سيف الدولة ، وكان قد أخذ أسيرا وحمل إلى رومه وإلى القسطنطينية وكان من أهل الفهم والعقل والفقه والأدب

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢) المرجع السابق ، صفحة ٦٩ .

والمعرفة بعلوم الرياضة وكان النصرانى الذى حمله قسيسا من قساوسة بلاده فقال فأخذ هذا الرجل أنه دخل معه بيت المقدس فى عام ٥٤١ هـ . وهو يومئذ للروم فسألته فى مدينة شفورة فى عام ٥٤٩هـ عن الحجر المعروف فأخبرنى عنه كما أخبرنى أبو الطيب الدمشقى غير أنه قال : رأيت فيه عجبا عجبا . فقلت له : وما هو؟ يرحمك الله . قال : رأيت ليلة الميلاد حين يأكل الروم القربان رجلا من بطارقة الروم ..... [١]

٤- أعلام مشاهير ذكر من بينهم أرسطو والفزارى والمسعودى وأبا بكر الرازى وابن الجزار وابن جيان والعذرى . فنقل عنهم مبينا العنواين غير أنه فى الاقتباس اكتفى بالمعنى دون المبنى كأنه يروى ما علق بحافظته لا ما هو مكتوب أمام عينه ويديه [٢] .

فقد ذكر أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزهرى فى مقدمته "فأنى نسخت هذه الجغرافية من نسخة نسخت من جغرافية الفزارى التى نسخت من جغرافية أمير المؤمنين عبدالله المأمون من هارون الرشيد التى اجتمع عليها وعلى عملها سبعون رجلا من فلاسفة العراق فوضعوها على صفة الأرض وإن كان غير الحقيقة من ذلك ، لأن الأرض كروية ، والجغرافية بسيطة ، لكنهم بسطوها كما بسطوا الاسطرلاب ، وكما بسطوا هيئات الكسوف فى دواوينهم ،ليعلم الناظر فيها جميع أجزائها وأصقاعها وحدودها وأقاليمها وبحارها وأنهارها وجبالها ومعمورها وقفرها وحيث تقع كل مدينة من مدائنها فى شرقها

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢) المرجع السابق ، ص٣٠٧ .

وغربها وينظر الناظر مكان أعاجيبها ومافى كـــل جـزء مـن الأعـاجيب المشهورة والمبانى الموصوفة فـــى أقطارهـا [١] .

وقد أورد فى خاتمة الجغرافيـــة :

"وقد رسمنا فى الجغرافية كـــل أعجوبـــة فـــى موضعهنـا ، وكـــل نهر فى موضعه ، وكل جبل فى مكانه ، وكـــل بحـــر فـــى موضعـــه كمـــا بلغ إلينا من كلام الفلاســـفة المتقدميـــن والحكمـــاء المـــاضين ، واختصرنـــا ما شك فيه . وما رسمنا فى كتابنا هـــذا إلا مـــاصح وثبـــت وجعلنـــا هـــذا الكتاب مختصرا فى ذكر الجغرافيـــا ناطقـــا بمـــا رســـم فيهـــا . ووهبناهـــا لينظر الناس فيها فيعلموا شرقها وغربها وجنوبهـــا وشـــمالها واللـــه أعلـــم بالصواب [٢] .

كرويـــة الأرض :

من المعروف للباحثين أن معظـــم اليونـــانيين الذيـــن نقـــل عنهـــم العرب تصوروا أن السماء كـــرة عظيمـــة فـــى بســـيطها النجـــوم ، وأنهـــا تدور بجميع مافيها مـــن النجـــوم علـــى قطبيـــن ثـــابتين غـــير متحركيـــن أحدهما من ناحية الشمال والآخـــر ناحيـــة الجنـــوب ، وأن الـــدوران مـــن المشرق إلى المغرب ، وأن الأرض ثابتة فى المحـــور الـــذى تـــدور عليـــه الكرة السماوية . ومن بين الذين اعتنقوا هـــذا الـــرأى بطليمـــوس . ورغـــم أن العرب نقلوا الكثير من اليونـــان إلا أنهـــم نبـــذوا فكـــرة ثبـــوت الأرض ومن ثم فأعلن معظـــم المســـلمين أن الأرض تـــدور " أن الأرض متحركـــة

---

(١) المرجع السابق ، ص ١

(٢) المرجع السابق ، صفحة ١٠٤ .

حركة الرحى على محورها [١] ، وفيما يختص بكروية الأرض يذكر أبو بكر الزهرى أن هناك براهين ودلائل واضحة على كرويتها منها "جرى الماء على الأرض ، واختلاف النظر فى الفلك ، وقصر الظل ، وقصر الليل والنهار وابلاج بعضها فى بعض ، واختلاف درج المطالع ، ولو كانت الأرض سطحية لم يكن فى الفلك من هذا كله شىء وماكان الليل والنهار على حد واحد على طول الدهر [٢] .

وقد ذكر المسعودى أن الحكمة من كون الأرض كروية الشكل ،أنها لو كانت مسطحة كلها لاغور فيها ولا نشر يخترقها لم يكن النبات وكانت مياه البحار سائحة على وجهها فلم يكن غدران تفضى مياه السهول إليها [٣] .

وقد أشار العرب إلى ما يسمى بقبة الأرض أو قمة الأرض وهى النقطة التى يلتقى فيها خط طول صفر وخط الاستواء ، وأن هناك اختلافا بين الجغرافيين المسلمين بشأن اختيار خط الطول الأساسى أو خط الصفر فبعضهم سار على نهج بطليموس وجعل هذا يمر بجزر كناريا [٤] ومنهم من اتبع طريقة الهنود الذين قالوا بأن هذا الخط يمر بمدينة أوجين التى حرفت إلى أوذين Uzagn ثم أرين .

---

(١) نلينو – طبعة ليدن – ١٨٨٦ ، ص١٣٩ .

(٢) الجغرافية ،ص ص ٤، ٥ .

(٣) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) . التنبيه والإشراف – بيروت ١٩٦٧ ، ص ٢٥.

(٤) ابن رسته (أبو على أحمد بن عمر) كتاب الأعلاق النفسية ، الجزء السابع من المكتبة الجغرافية تحقيق دى خوية – ليدن ، ١٨٨١ ، ص ٢١.

وقد أطلق بعض الجغرافيين المسلمين مثل المسعودى والبتانى والبيرونى على جزيرة زنجبار "جزيرة الأرين " التى اعتقدوا أن خط طول صفر يمر بها [١]

وفى هذا الصدد أبان عبدالله الزهرى أن " الفلاسفة والأطباء والحكماء والمنجمون وغيرهم أجمعوا على أن هذه الجزيرة "الأرين" نقطة الأرض كلها فقرها ومعمورها . وإذا توسطت الشمس برج الحمل لم يكن فى هذه الجزيرة لشيء ظل قائم . وهذه الجزيرة أعدل الأرض هواء وماء وذلك أنها سمت الحمل وسمت الميزان . ولذلك اعتدل ليل هذه الجزيرة ونهارها طول الدهر لايزيد أحدهما ولا ينقص . وكذلك لا تسقط فيها ورقة من شجرة ولا يكاد الإنسان أن يموت بها إلا على رأس مائة سنة من العمر . وهذه الجزيرة لا عرض لها من الفلك ، إنما لها ارتفاع بحسب جريان الشمس فى الأبراج الجنوبية والشمالية . ومن هذه الجزيرة يؤخذ العرض لكل بلد من مدائن الأرض فى مشارقها ومغاربها . ولذلك قال الفلاسفة قبة الأرض يعنى بالقبة ارتفاع الشمس فى وسط سمائها [٢] "

ولما كان أهم أعمال العرب فى الجغرافية الفلكية هى محاولة قياس الدرجة والتى دلت على مهارتهم فى الرصد والدقة العلمية فقد ذكر هذا القياس فى عدة كتب عربية منها "الزيج الكبير" لابن يونس المصرى (الباب الثانى) وكتاب وفيات الأعيان "لابن خلكان المتوفى فى عام ٦٨١هـ (١٢٨٢م) . أما فى الجغرافية فقد ورد بها " اتفق

---

(١) الجغرافية ، ٢٠ ، ٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص٥ .

جميع الفلاسفة أن تكسير الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ وهى من الأميال اثنان وسبعون ألف ميل . وإنما أخذوا تكسير كورة الأرض من تكسير كورة الفلك وذلك أن كورة الأرض تدور بها (على) كورة الفلك ثلاثمائة وستون درجة ، ويقطع الدرجة خمسة وسبعون ميلا ، وذلك ما يمشى الماشى فى اليوم والليلة ، كما تقطع الشمس درجها فى اليوم والليلة ويكون دوران الأرض على هذا الحساب سبعة وعشرين ألف ميل ، وذلك ثلاثة أثمان (٨/٣) التكسير على أقرب التقريب . وإذا كان تكسيرها أربعة وعشرين ألف ميل وجب أن يكون قطرها تسعة آلاف ميل وذلك ثلث الدور على أقرب التقريب والله أعلم [١] .

ومن الأمور التى تلفت النظر فيما يختص بطبيعة الكرة الأرضية وتقسيماتها تأثر الجغرافيين المسلمين بنظرية تقسيم المعمورة إلى سبعة أقسام كل إقليم عبارة عن شريط عريض يمتد بمحازاة خط الاستواء . وهذه الأقاليم ترتب من الجنوب إلى الشمال . ويذكر اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكى أن هذا التقسيم وضعه اليونان وإن كان فى حقيقة الأمر أن اليونانيين لم يقسما العالم إلى سبعة أقسام ومكنهم ابتكروا نظم المناطق Clima te . [٢] أما التقسيم إلى سبعة أقسام فهو تقسيم للفرس قديم حيث قسموا الأرض المعمورة إلى أقسام

---

(١) المرجع السابق ، ص٥ .

(٢) اغناطيوس كراتشكوفسكى - تاريخ الأدب الجغرافى العربى - ترجمة صلاح الدين هاشم - القاهرة - ١٩٦١ ، جـ١ ، ص ١٠١ .

تسمى كشورات . [١] كما يعتقد بعض الباحثين أن التقسيم إلى أقاليم سبعة عند العرب وليد اهتمامهم بالتنجيم ووسط الحوادث بالنجوم لأن بيوتات العرب للعبادة قديما كانت للكواكب السبعة بما في ذلك الشمس والقمر [٢] ويذكر المقديسى "أن التمسك بالسباعيات يرجع أن الله خلق السماوات والأرض سبعا سبعا والأيام والليالى سبعا سبعا والأرزاق من سبع ونزل القرآن على سبعة أحرف والمساجد سبعة [٣]

وتذكر "الجغرافية" بين صفحاتها أن الفلكيين ذكروا الأقاليم السبعة "وأن كل واحد منها من المشرق إلى المغرب في عرض الفلك وأنهم أقاموا البرهان على ذلك " إن الأقليم الأول أطول أياما وأعدل ساعات من الثانى ، والثانى أعدل من الثالث ، والثالث أعدل من الرابع ، والرابع أعدل من الخامس ، والخامس أعدل من السادس ، والسادس أعدل من السابع . وما وراء السابع لا يمكن ولا يعيش فيه حيوان ولا يدخل فيه أحد ولا شيء من الحيوان إذا كانت الشمس في آخر الأبراج الشمالية في رأس السرطان أو ما قرب منه " وبهذه العلة احتجوا على الفلك من رأس الحمل إلى رأس الميزان وإلى الارتفاع من رأس الجدى إلى رأس السرطان " فاتفقوا أن السبعة اقاليم من المشرق إلى المغرب يأخذ كل جزء ما أمكنه من كل اقليم [٤] .

---

(١) نلينو – صفحة ١٥٨ .

(٢) محمد محمد ين – التراث الجغرافى الإسلامى – الرياض – ١٩٨٤ ، صفحة ٩٩ .

(٣) محمد محمد ين – الجغرافيا والجغرافيون ، الرياض ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٧ .

(٤) الجغرافية – ص ١٠ ، ١١ .

العالم المعمور :

تبرز عند دراسة التراث الإسلامى الجغرافى ، ويتعدد ورودها كلمة "اقليم" حيث يلاحظ تباينا واضحا بين مفهوم هذا اللفظ وأصل استقامته عند الجغرافيين المسلمين . فيذكر ياقوت الحموى " أن الأقليم كلمة عربية مفردها اقليم ، مثل أخريط أخاريط ، وأنه سمى اقليما لأنه معلوم من الأرض التى تتاخمه أى مقطوع" (١) . أما حمزه الأصفهانى فيذكر " أن الأرض مستديرة الشكل ، المسكون منها دون الربع . وهذا الربع قسمين برا وبحرا ثم ينقسم هذا الربع إلى سبعة أقسام كل قسم منها بلغة الفرس كشجر . وقد استعاد العرب من السريانية اسم الأقليم" (٢) وذكر حاجى خليفة فى تعريفه للجغرافيا أن " علم الجغرافيا وهى كلمة يونانية بمعنى صورة الأرض ، ويقال جغراويا بالواو على الأصل وهو علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السبعة الواقعة فى الربع المسكون من كرة الأرض وعرض البلدان الواقعة فيها أطوالها وعدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها إلى غير ذلك من أحوال الربع المسكون (٣) . أما ابو ريحان البيرونى فينقل عن أبو الفضل الهروى نقلا عن كتابة " المدخل الصاحبى " أن

---

(١) ياقوت الحموى ، جـ١ ، ص٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٣) احاجى خليفة – كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون – طبعة المطبعة الإسلامية – طهران – ١٣٨٧هـ ، ص٩٥ .

الأقليم هو الميل ، فكأنهم يريـــدون بذلـك المســاكن المائلــة عــن معــدل النهار" (١)

وفى اطار هـــذا المفهـوم صـــورت "الجغرافيـــة" المعمـــور مـــن الأرض فـــى ســبعة أجـزاء ، وحيـث أن دورة كـــرة الأرض ســـبعة وعشرين الف ميل وجب أن يكـــون قطـــر الدائـــرة ثلاثـــة آلاف فرســخ على أقرب التقريب وهو أوسع مكـــان فـــى الأرض وهـــو خـــط الإســتواء الآخذ من وسط المشرق إلى وسط المغرب من مطلـــع النطـــح الـــذى هـــو رأس الحمل إلى أول الغفـــر الـــذى هـــو رأس المـــيزان فانقســـمت دائـــرة الأرض بنصفين متساويين ، فكان النصف الواحـــد يســـمى الجنـــوب وهـــو الذى يقع على يمينك إذا استقبلت مطلـــع النطـــح . وكـــان النصـــف الثـــانى يسمى الشمـــال وهـــو الـــذى يقـــع علـــى شـــمالك إذا اســـتديرت مغـــرب المغفر" (٢)

وكما رددت جغرافية بطليمـــوس أن المنـــاطق القريبـــة مـــن خـــط الإستواء غير مسكونة بســـبب ارتفـــاع درجـــة الحـــرارة (٣) فينكـــر أبـــو عبدالله الزهـــيرى أن الفلاســـفة زعمـــت أن هـــذه الأرض لا تدخـــل مـــن أشعة الشمس والحر ، وذلك لجريهـــا علـــى هـــذه الأرض وليـــس الأمـــر كذلك .... العلة فى قفـــر جـــانب النصـــف الجنوبـــى فلأنـــه تحـــت خـــط

---

(١) البيرونى – كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم – طبعة مكتبة المتنبى ببغـــداد بدون تاريخ –ص١٤٠ ، ١٤٧ .

(٢) الجغرافية ، ص٩ .

(3) James , Perston , All Possible Worlds , N . Y . , 1972 , P . p . 50 , 57 .

الإستواء وهو النصف الأول الأسفل من كرة الأرض . فمن نشأ وخلق فى النصف الشمالى تحت الأبراج الشمالية لا يستطيع دخول النصف الجنوبى لأنه ينقلب عليه الهواء ويرجه رأسه إلى ناحية الأبراج الجنوبية وقدماه إلى ناحية الأبراج الشمالية وذلك بضد ماخلق فيه من الهواء [١] "

أن المناطق الجنوبية مقفرة ولا عمارة فيها وأنه لا يدخل تلك المناطق احد اللهم سوى الذين يقطنون على تخومها مثل الأحباش والنوبة الذين يسكنون على خط الإستواء ولأنهم نشأوا بين الجنوب والشمال فهواءهم ممتزج بعضه ببعض فلذلك يدخلون هذه الأرض عشرين فرسخا ونحوها ثم ينقلب عليهم الهواء فلا يستطيعون المشى وينقلبون فى الأرض ولا يمشون فيها إلا بمقربة من النيل الخارج من جبل القمر ولولا ذلك ما قدروا المشى فيها" [٢] وحتى هؤلاء لا يمكنهم السير فى تلك الصحراء أكثر من المسافة السابقة وربما بلغوا قرب البحيرات التى يخرج منها النيل وتصب إليها مياه من جبل القمر [٣]

ولا يدخل هؤلاء إلى تلك المناطق إلا لصيد الزمرده وهى دابة مسمومة شبه القرد ليس فى الأرض أسم منها ولا أقطع وسمها حار يابس يحرق من ساعته . وكذلك يصيدون فى هذه الصحراء الرخ وهو دابة كبيرة على قدر الثور العظيم له أربع قوائم كقوائم البعير وله رأسان كرأسى الذئب .يمشى إلى أمامه وإلى خلفه ولا

---

(١) الجغرافية ، صفحة ٨ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، ص٦ .

ينعطف لأن سيقانه عظم واحد . وإنما ينعطف رأسه يمينا وشمالا وخلفا وأماما ، ويأكل بفمين ويفوط على مخرج واحد فى وسط بطنه وله فى جنبه مثل الأجناح إذا جثا أوقفها وإذا مشى أولاها ... وفى هذه الصحراء اشجاركبار عالية وقد ذكر الحكماء فى هذه الأرض من أعاجيب الحيوان مالا تقبله العقل واختصرنا ذكرها لبعدها عن الوجود والله أعلم بذلك" (١)

وأهم الظاهرات الجغرافية فى النصف الجنوبى هى تلك التى أوردها بطليموس فى جغرافيته والتى اختصت بنهر النيل ومنابعه من جبال القمر ، تلك الجبال التى ذكر أنه يمكن الاقتراب منها ولا يمكن الوصول إليها . وفى هذا الصدد يشير أبو بكر الزهرى أن جبل القمر سمى بهذا الاسم لأنه يتلون مع امتداد القمر عليها "فإذا كان فى الليلة الثانية ازداد بياضه وإذا كان فى الليلة الثالثة علته صغره وغشته نور ساطع كشعاع الشمس ، وفى الليتين الرابعة والخامسة يزيد شعاعه فيحمر ويكسوه نور . ولا يزال كذلك فى كل ليلة نورا حتى يكمل فى ليلة البدر نصف الشهر . فيكون مثل ذئب الطاووس ولا يخفى على أحد من النوبة والحبشة لشدة نوره" (٢)

وقد ذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر "هذا الجبل وتلونه وخروج النيل منه . ويبلغ طول النيل العظيم من

---

(١) المرجع السابق ، ص٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص٨ .

مخرجه فى جبل القمر إلى موقعه فى بحـــر الـــروم ١٠٤٥ فرســخا والله أعلم" (١)

ويضيف أبو بكر الزهرى إلى معلومات النصف الجنوبى من الأرض أن الجانب الشرقى منها لا يعلم عنها أحد شيئا بسبب عدم وصول أحد إليها نظرا لأنها متصلة فى الشـــمال بـــالبحر الأسـود الزاخر الذى لا يدخله أحد المتصل بـــالبحر الأخضـــر الـــذى يخـــرج مـــن البحـــر الأعظم فى المشرق عند خط الإستواء وهـــو البحـــر الـــذى فيـــه جزائـــر الهند والسند .

الأطواق والبحـار :

أوردت "الجغرافية " أن هناك طوقين مـــن الميـــاه يحيطـــا اليابســـة وأن هناك أربعة بحار تتشعب خلال العالم المعمـــور . أمـــا عـــن الطوقيـــن فأحدهما أزرق والآخر أخضر . والطوق الأزرق المحيـــط بـــالأرض هـــو بحر الظلمات الذى سمى بهـذا الاسم لأنـــه بحـــر راكـــد لا تهـــب عليـــه الرياح ولا تتحرك أمواجه ولا ترى فيه شـــمس وهـــو بحـــر لا يعلـــم لـــه غاية ولا يدرك له نهايـــة .

أما الطوق الأخضر فهو البحر المحيـــط بـــالأرض والـــذى يتصـــل أيضا بالطوق الأزرق . وقد أجمع أهل المعرفـــة بالبحـــار أن عـــرض هـــذا البحر من الأرض إلـــى البحـــر الأســـود "الطـــوق الأزرق " ٢٤٠٠ ميـــل ومن هذا البحر يتشعب البحار التاليـــة .

---

(١) المرجع السابق ، ص٩ .

١- أكبر البحار واعظمها هذا البحر الذى يخرج من ناحية المشرق عند خط الإستواء والذى توجد فيه جزائر الصين والهند والسند

٢- البحر الرومى أو الشامى (البحر المتوسط) . ويبلغ طول هذا البحر من مخرجه من ناحية المغرب إلى نهايته عند بلاد الشام بالقرب من جزيرة حلب بعشرين فرسخا حوالى ١٠٠٠ فرسخ . وعرض هذا البحر يختلف من مكان لآخر فيصل عرضه عند خروجه من البحر الأعظم ما بين جزيرة طريف وقصر مصمودة خمسة فراسخ ، وهو أضيق مكان فى هذا البحر وهو الزقاق " مضيق جبل طارق" وأما عرضه مابين سبته والجزيرة الخضراء ٨ فراسخ وهوآخر الزقاق . وعرضه مابين مالقه وقادس ٣٠ فرسخا وعرضه مابين المرية ووهران ٥٠ فرسخا [١] . وهذا البحر معمور الأرض أكثر عمارة منه

٣- بحر الصقالية وهو أقل من البحر الرومى من حيث الطول والعرض " ويخرج من البحر الأعظم فى وسط الشمال فى وسط الشمال من وراء الأقليم السابع من وراء الموضع الذى لا ترى فيه الشمس وهو الموضع الذى تحت القطب الشمالى عند خط عرض ٨٤ش . والعام فيه يوم وليلة . ويتجه هذا البحر من أعلى الشمال إلى ناحية الجنوب حتى يقع فى بحر الروم أمام القسطنطينية . وطول هذا البحر من أول خروجه من البحر الأعظم إلى حين وقوعه فى بحر الروم ٩٩٠

---

(١) المرجع السابق ، صفحة ١٢٨ .

فرسخا . ويبلغ عرض هذا البحر ١٢ فرسخا ويصل عرضه أمام القسطنطينية ميل واحد [١] "

٤- البحر الرابع من معمور الأرض وهو المعروف ببحر الديلم . وهذا البحر يخرج من البحر الأعظم مابين أطراف بلاد الصقالية وبين سد ياجوج وماجوج ويتجه ناحية الجنوب إلى بلاد الكرد ثم ينعطف على بلاد الديلم إلى ناحية المغرب لينتهى هناك . ويبلغ طوله حوالى ٢١٥ فرسخا . ويسكن قليل من الترك جنوب بحر الديلم فى حين يقطن ساحلها الشمالى الكرد وقليل من الصقالية .

وفى هذا الصدد يجدر الإشارة إلى أنه لا يكاد يخلو كتاب من كتب العرب التى تناولت ذكر البلدان أو الأقاليم من تناول البحار إذا اهتم العرب بدراسة المسطحات المائية وتوزيعها . وتميزت كتابات العرب عن البحرين المتوسط والأحمر وسواحل المحيط الهندى بالدقة إلى حد ما ، إذا ماقورنت بالمعلومات الواردة عن بحر الظلمات والبحر الأسود . والمتبع لكتابات العرب عن البحار يجد فيها بعض ماورد فى كتابات اليونان . وقد ساعد على ازدياد معلومات العرب عن البحار والمحيطات اتساع مجال نشاطهم التجارى وامتداد رقعة العالم الإسلامى والتقاء المسلمين فى مواسم الحج .

يقول المقديسى فى كتابة "أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " فى نهاية القرن العاشر الميلادى انا لم نرى فى الإسلام إلى بحرين

---

(١) المرجع السابق ، صفحة ١٣٣ .

أحدهما يخرج من نحو مشارق الشتاء بين بلد الصين وبلد السودان ... والبحر الآخر خروجه من أقصى المغرب بين السوس الأقصى والأندلس ، ويخرج من المحيط عرضا ثم يعود فيعظم إلى تخوم الشام" (١)

الجانب الشمالي والأقاليم السبعة :

على الرغم من أن اتجاها جديدا قد بدا في القرن العاشر الميلادى واختص بالاقتصار على وصف جغرافية العالم الإسلامى - هذا الاتجاه الذى ربطه كراتشكو - فسكى بالمدرسة الكلاسيكية لجغرافى القرن العاشر الميلادى وارجعه إلى رجل أصله من بلخ وهو أبو زيد البلخى (٢) إلا أن "جغرافية" أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الزهرى اشتملت على "جميع أقطار الأرض ومافيها من الخلائق على صفاتهم وصورهم وألوانهم وأخلاقهم وما يأكلون وما يشربون من الفواكه والحبوب وما فى كل صقع مما ليس فى غيره . واختلاف أرزاقهم وما يجلب لكل صقع من التحف والطرف والطيب والعطر والمتاع والمتجر فى البروالبحر ومافى جميع اقطار الأرض من الحيوان المذكورة المشهورة بالخواص والسموم والقاتلات والمنافع لذلك . ومافى جميع برها وبحرها على ما وصفه الحكماء المتقدمين والفلاسفة الماضون . فى هذه "الجغرافية" من الأرض طولها

---

(١) المقدسى (شمس الدين أبو عبدالله محمد) "أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - ليدن - ١٩٠٦ ،ص ١٠ .

(٢) كراتشكوفسكى - ص ٦٢ .

وعرضها وما قالت الفلاسفة فى تكسيرها وعـــدد فراســخها وأميالهـــا ومـــا فى كل جزء من ذلـــك [١] "

وهكذا يوضـــح الزهرى منهـــج اســـتعراضه للمعلومـــات المختلفـــة التى تخص الأقاليم التى وصفها فى "جغرافية" رغم أن هنـــاك نقطـــة لابـــد من إبرازها وهى أنه استخدم فـــى تقســـيماته مـــن المعمـــور مـــن الأرض كلمة جزء لتكون مقابلة للفظ اقليم ومن ثـــم فـــالجزء الأول مـــن المعمـــور هو الأقليم الأول وبالمثل كل جزء يقـــابل الأقليـــم العـــددى المرتبـــط بـــه . كذلك لجأ إلى أن يقسم كل جزء إلى ثلاثة اصقـــاع . والصقـــع هنـــا يقـــابل الكورة التى تشتمل على عـــدة قـــرى . والكـــورة اســـم فارســـى اســـتعارة العرب ولابد للقرى التى تضمنها الكـــورة مـــن قصبـــة أو مدنيـــة أو نهـــر يجمع اسمها ذلك الكـــورة [٢]

الجزء الأول مـن المعمـورة "الأقليـم الأول "

لم تعرض "الجغرافيـــة" مادتهـــا العلميـــة فـــى جـــداول أو قوائـــم بحيث يمكن أن تسمى جغرافية القوائم أو الجغرافيـــا الجدوليـــة كمـــا فعـــل محمد بن موسى الخوارزمى اشهر الجغرافييـــن المســـلمين الذيـــن تـــأثروا ببطليموس والذى ظهر كتابه على هيئة ازيـــاج [٣] رغـــم أن اســـلوبها فيمـــا يختص بمساحة وأطوال الأجزاء والاصقاع المختلفـــة ارتبـــط ببيـــان هـــذه

---

(١) الجغرافية ، ص ٢٠١

(٢) ياقوت الحموى ، مرجع سبق ذكره جـــ١ ، ص٣٧ .

(٣) الجغرافية ، ص١٣٤ ، ١٣٥ .

المساحات والأطوال جملة فى نهاية المؤلف ولم يشر فى كل موضع إلى مسافاته ومساحته فى حين .

فالجزء الأول الذى اشتمل على بلاد الصين والهند والسند بلغت (مساحة) بره وبحره ٣٤٠٠ فرسخا والمسافة بين أول الصين إلى آخرها أول الهند ٥٠ يوما أو ٥٠٠ فرسخا أما صقع الهند كله ٧٠ يوما أو ٧٠٠ فرسخا إلى أول بلاد السند فى حين يبلغ صقع السند ٤٠٠ فرسخا إلى آخر البحر مما يلى الحبشة [١] .

هذا الجزء الأول من الأرض هو البحر الأخضر الخارج من البحر الأعظم فى المشرق عند خط الإستواء وتتكون منه جزائر الصين والهند والسند . وينقسم هذا الجزء إلى ثلاثة أصقاع وهى :

أ- بلاد الصين وهى كثيرة منها ما يقع فى البر ومنها من يقع فى البحر ، من اشهر جزائر الصين ثمانية جزر أكبرها جزيرة الوقواق وجزيرة سكاكين حيث يوجد الكركدن [٢] وجزيرة الطرب ، وجزيرة برهان التى يوجد بها جبل يجلب منه الياقوت البرهمانى [٣] وجزيرة زباجه (رباحه) التى تقع فى شرق الصين ويجلب منها الكافور والرند الصينى وكثير من الطيب وجزيرة سكاكين المشهورة بشجرة البلسان [٤] ، وجزيرة الموفق وهى جزيرة خصبة يوجد بها جوز الطيب وأنواع من الياقوت والأحجار وفيها وتصنع الاحجار

---

(١) "الجغرافية" ، صفحة ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، صفحة ١٢ .

(٣) المرجع السابق ، صفحة ١٣ .

(٤) المرجع السابق ، صفحة ١٤ .

المطلمسه [١] ، وجزيرة القيصران (قيصـــون أو قيطـرون) وهـــى أقـرب الجزر الصينية وفيها كثير من شجر البان وهو أطيب مـــن لبـان الهنـد .

ب- بلاد الهند والتى يوجد بها جزءا مـــن الـبر(أرض سـرنديب) إلى جانب جزائر عديدة أهمها سبعة جزر وأكبرهـــا جزيـرة كولـم وهـى جزيرة عظيمـــة محيطهـا ٥٠٠ فرسـخ وفيهـا خمـس صغائـن . وهـذه الجزيرة اخصب بلاد الهند وأكثرها فـائدة وأطيبهـا رائحـة . ومـن هـذه الجزيرة يجلب المسك النشير والفلفـل والسـنبل [٢] ، وإلـى الشـرق منهـا جزيرة القرنفل وهى على نهايـــة المعمـور يجلـب منهـا جـوز الطيـب والقرنفل والدارسوس (الدرسوس) وغيرها مـن العطـور ، وإلـى الغـرب من جزيرة كولم توجد جزيـــرة قمـراء التـى يبلـغ طولهـا ٥٠ فرسـخا وعرضها مثل ذلك ويجلب منها الصندل الرطـب وهـو عـدد القمـارى ، وهذا العود أطيب من كل عـود يجلـب مـن السـند والصيـن ، وجزيـرة ارين التى تقع إلى غرب الجزيـرة السـابقة ، وجزيـرة زنجـر (زنجـور) وهى أقرب الجزائر إلى العراق ويجلب منها عـود البقـم (البقـر) والفلفـل والسنبل والمصطكى والفرقة وفيها من العطـــر الكثـير [٣] .

وجزيرة النهـــروان التـى يطلـق عليهـا العامـة اسـم نهروالـه (نهرواسه وهى آخر جزائر الهند) وهـــى جزيـرة خصبـة كبـيرة قريبـة من العراق تشتهر بشـــجرة الفوفـن (الفرقـت) التـى لاتوجـد فـى أرض غيرها " وهى شجرة إذا جعل الرجل مـــن ورقهـا أو عيدانهـا فـى قيمـة

---

(١) المرجع السابق ، صفحة ١٥ .

(٢) المرجع السابق ، صفحة ١٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٣٥ .

وزن ثمن درهم خرج من فيه رائحة المسك الاذفر واحمـــر لونـــه وشـفتاه وزادت خصاصتـــه" [١]

ويتصل بأرض سرنديب بلاد كابل، وتقـــع مـــابين ســـاحل ســـرنديب وساحل اليمن ، كما تتصل بـــاطراف بـــلاد كـــل مـــن اليمـــن والعـــراق . ويجلب من هذه البلاد الاهليلج الكابلى الأصفر ومـــن أهـــم مدنهـــا ســـيراف وسلاع وبيرين (بريـــن)

جـــ- جزائر السند أشـــهرها ســـت جـــزر وهـــى جزيـــرة طرقـــه (طبوقه) ، جزيرة كلته (كله) وجزيرة السنور ، وجزيـــرة ســـكاكين ويقـــال جزيرة سكانين ،س وجزيرة مبيلج أو هيلـــج وجزيـــرة صـــبرا (صـــبرىأو يسرى) التى تقع على أول بحر القلزم المتصـــل بـــاليمن . [٢]

الجزء الثانى من المعمور الأقليـم الثـانى :

يضم هـــذا الاقليـم بـــلاد اليمـــن وبحـــر القـــلزم ومصـــر تبلـــغ (مساحته) ٣٤٠٠ فرســـخ أمـــا عـــن المســـافات بيـــن أجزائـــه المختلفـــة فالمسافة بين مكة ومصر مســـيرة ٢٥ يومـــا (مســـيرة اليـــوم ١٠ فرســـخ) ومصـــر والشـــام ١٨ يومـــا ، ومكـــة وأول الشـــام ٣٠ يومـــا ، ومصـــر والعراق ٤٠ يوما الشام والعراق ٣٠ يوما ، مـــن أول بـــلاد العـــراق إلـــى أول الصين ٣٥ يوما ومن اليمن إلـــى العـــراق ٥٠ يومـــا ومـــن أول بـــلاد الهند ٢٥ يوما ومن الشام إلى خرســـان ٢٥ يومـــا [٣] .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٣٥ .

وينقسم هذا الاقليم إلى ثلاثـة أصقـاع :

الصقيع الأول حده من ساحل عدن وصنعاءإلى أرض اليمامة وبلاد نجد في المشرق ، وفي المغرب إلى بلاد اليمامة وأرض المشاوز (الشار) وأرض تهامه إلى جزيرة العرب إلى مكه .

"وبلاد اليمن خير بلاد الأرض كلها ، وهي أرض منها الملوك الكبار وتجهرت فيها الجبابرة العظام مثل شداد ابن عاد وصهرام وتبع الأكبر وسائر ملوك حمير ، وهو أول من نشرت عليهم البنود وضربت لهم الطبول وملكوا العمار الذى لم يخلق مثلها في البلاد ، وصهرام هوالذى بنى سد مأرب وعمل فيه كثيرا من العجائب والغرائب [١]

الصقيع الثانى حده فى مكه إلى القلزم إلى خيبر إلى مدينة بابل إلى أرض مدين فى أول بلاد الشام فى الشمال وحده في المشرق مدينة تيماء .

أما الصقيع الثالث فهو أكبر أقسام الجزء الثانى ويضم مدينة مصر ، وهى المدينة التى لا ترى قط إلا أربع صور " أما ببيضاء فضية ، وذلك عند خروج النيل عليها ، وأما حمراء مسكبة وذلك عند كمال خروج النيل ، وأما خضراء زمردية وذلك عند كمال نبتها ونبت زرعها ، وأما صفراء ذهبية وذلك عن حصاد زرعها" [٢] ومن أهم مدنها اخميم احسن بلاد مصر وأطيبها ماء وهواء ، واخصبها أرضا

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص٣٩ .

وفيها تحصنت بنو إسرائيل حين سلط عليهم بخت نصر [١] ، كذلك مدينة قوس وهى أكثر بلاد الله قصب السكر حيث يجلب السكر منها إلى بلاد مصر والحجازوالحبشة ويدخل أيضا إلى صحراء عيذاب . ومن مدنها الشهيرة أيضا مدينة تانيس والفيوم ودمياط .

الجزء الثالث من المعمور "الاقليم الثالث "

يشمل بلاد العراق وبلاد خرسان وأرض بابل (مساحته) ٣٥٠٠ فرسخ والمسافات بين أجزائه تتمثل في بين العراق وبابل ٤٠ يوما ،س وبابل وخرسان ٣٨ يوما ، وخرسان وفلسطين ٢٥ يوما ، من أول فلسطين إلى آخر الترك مما يلى سد ماجوج ومأجوج ٦٥ يوما.

وينقسم هذا الجزء إلى ثلاثة اصقاع وهى :

الصقع الأول وحده أرض فارس إلى البصرة ، ومن أهم مدائنها مدينة غزنة وهى "أكبر مدينة من معمور الأرض قيل أن دورها ٩٠٠ ميل وهى من الأيام ٣٠ يوما ، متصلة بالبساتين والجنان ، ولها عمل عظيم آخره فى الجنوب أول بلاد الصين وآخره فى الشمال بلاد الأهواز وآخره فى المشرق البحر الأعظم [٢]

كذلك توجد بها مدينة الخوزنق ومدينة تستر (دستر) وفيها استنبط الثوب المعروف بالدسترى ، ومدينة اصبهان التى ينسب إليها

---

(١) المرجع السابق ، ص١٣٥.

(٢) المرجع السابق ، ص٥٠ .

الثوب الاصبهانى ومدينة الأهواز التى قتل فيها المهلب بن أبى صفره جمع الخوارج فى امارة حجاج بن يوسف [١] .

الصقيع الثانى البصرة والكوفة وبغداد وحده يمتد من الأهواز إلى مدينة سرمن رآى (سامراء) وهى مدينة من مدن العراق بناها المعتصم (أبو جعفر المنصور) ومن مدن هذا الصقع الموصل وخلوان وهى من أحسن مدائن العراق وفيها كثير من طرف العراف وبالقرب منها الجبل المسمى بالرى " وفى هذا الجبل براكن كبير . والبركان فيه نيران تتأجج طول الدهر ، وتزفر احيانا فترمى بشرر عظيم من رآه فرمنه" [٢] .

الصقع الثالث حده فى الشرق من أرض غانه (فرغلنه) إلى بلاد خرسان إلى بلاد التبت إلى صحراء القيصوم التى يوجد بها الجبل المسمى على اسمه جبل القيصوم (القيطوم) وحده فى المغرب آخر بلاد الموصل إلى تيسابور فى أرض فلسطين فى الشمال [٣] .

ومن أهم مدائن هذا الصقع مدينة خراسان ومدينة همذان ومدينة سمرقند وخوارزم ومدينة كلود . وفى أرض خراسان الثغور المسماه بثغور ساردج وثغور اذربيجان .

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

الجزء الرابع من المعمور (الاقليم الرابع)

حدود هذا الجزء من الجنوب نهاية بلاد العراق ، ومن الشمال آخر بلاد الديلم وأول بلاد الصقالية ، ومن الغرب جبال الشام ، ومن الشرق ياجوج ومأجوج والجبل المحيط بهذا السد عن جنوبه وشماله وتبلغ (مساحته) دوراته ٣٣٠٠ فرسخ . أما عن المسافات بين أجزائه فمن السند إلى بلاد الديلم ٤٠ يوما ومن الديلم إلى أقصى بلاد الصقالية ٤٠ يوما ومن بحر الديلم إلى أقصى الشام ٢٥ يوما [١] .

وينقسم هذا الجزء أيضا إلى ثلاثة أصقاع وهى :

الصقع الأول بلاد نيسابور سجستان وبلاد طيريه

الصقع الثانى بلاد الترك وبلاد التبت . وقد أطلق على الأتراك اسم الترك لأنهم تركوا خلف السد الذى بناه ذى القرنين ، والأتراك هم الذين شكوا إلى ذى القرنين من فساد يأجوج وماجوج فى الأرض .

الصقع الثالث : بلاد الكرد والديلم والانبار . ومن أهم معالم الأقليم بحر الديلم الذى يخرج من البحر الأعظم ويسكن عليه من ناحية الجنوب الديلم " وهم قوم فيهم حسن وفطنة ودهاء لهم دراية فى الحروب ولا يوجد مثلهم فى القتال . يلبسون كثيرا الدوبار ، ويجلب لهم من بلاد الهند والسند جلود النمور ومن بلاد اليمن جلود الفنك

---

(١) المرجع السابق ، ص١٣٦ .

ومن أرمنيا جلود النشـــراب ومـــن الأندلـــس جلـــود الثعـــالب الأســـود لأن بلادهم شديدة البرودة وهى واغلة فـــى الشـــمال [١]

الجزء الخامس من المعمور الاقليـم الخـامس

هذا الاقليم مترامى الاطراف يمتد من الجنوب مـــن جبـــل الطـــور وأرض مدين وآخره بحر القلزم إلى الطريـــق مـــن مصـــر إلـــى العـــراق على مشارف الشام إلى أرض القدس (الخليل) إلـــى آخـــر الاقليـــم الســـابع من بحر الخزر (بحرقزويـــن) شـــمالا . وحـــدوده فـــى الغـــرب الآندلســـى وفى الشرق أول فلسطين إلى بيـــت المقـــدس [٢] . ودوران (مســـاحة) هـــذا الاقليم ٣٥٠٠ فرسخ وابعاد اقاليمه من بلاد فـــارس إلـــى أول بـــلاد الشـــام ٢٥ يوما ، ومن الشام إلى بلاد ارمنيا الكـــبرى ٣٠ يومـــا ، مـــن أول بـــلاد الأفرنج إلى بلاد روما ٣٥ يوما ، مـــن رومـــا إلـــى الأرمـــان إلـــى بـــلاد جليقية ٤٠ يوما ، من أرض الأفرنج إلـــى بـــلاد الأندلـــس فـــى الجنـــوب على ساحل البحر إلـــى بـــلاد أول قشـــتاله ١٣ يومـــا ، مـــن آخـــر بـــلاد الأندلس فى المغرب إلى البحر الأعظـــم إلـــى بـــلاد برتغـــال ١٥ يومـــا ، من نباره إلى آخر جليقيه ١٥ يومـــا ، طـــول قشـــتاله مـــن المشـــرق إلـــى المغرب ٢٠ يوما وعرضها من الجنوب إلـــى بـــلاد غليســـيا فـــى الشـــمال ٢٥ يوما [٣] .

ينقسم هذا الجزء إلى ثلاثة أصقـــاع وهـــى :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

الصقع الأول وفيه من المدائن المشهورة مدينة عمورية ومدينة انطاكية وأرض المقدس .

الصقع الثانى حده فى المشرق الخليج من بحر الخرز إلى بحر الروم بازاء قسطنطينه (بحر مرمره) ، وحده فى المغرب الجبل المسمى بجبل أطرجيوش المعترض بين برشلونه من بلاد الافرنج وبين مدينة طرطوشه من بلاد الأندلس ، وحده فى الجنوب البحر الرومى ، وفى الشمال من ناحية الغرب آخر بلاد جليقية أرمينا الكبرى إلى بحر الخرز .

وفى هذا الصقع توجد مدن عديدة منها قسطنطينه والبندقية وروما . وأرمينا الكبرى ، وفلنده " وهى من أعظم بلاد الأفرنج على مقربة من البحر الرومى بعشرين فرسخا وعندهم تعمل ثياب الملف وهى ثياب جيدة الصنع من الصوف [١] ".

" وبلاد الروم كلها من أرض قسطنطينه إلى بلاد برشلونه هى بلاد خصبة كثيرة الزرع والضرع والفاكهة والكروم إلا ماكان منها واغلا فى الشمال كبلاد أرمينا والرومانية وجليقية وغليسا " فالزرع

---

(١) المرجع السابق ص ٧٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٩ .

فى هذه البلاد قليل والكرم معدوم وعندهم غيره من الفواكه والألبان والقطانى" (١) .

الصقيع الثالث الأندلس : فى هذا الصقيع اسهب أبو عبدالله محمد ابن أبى بكر الزهرى فى وصف بلاد الأندلس فتحدث عن انهارها ومدنها وعجائبها وانتاجها الزراعىوانتاجها الصناعى والمعدنى فذكر أن بلاد الأندلس "حسنة الهواء طيبة الماء طولها أربعون يوما . يشقها أربعون نهرا لا يوجد هذا فى معمور الأرض الا فيها . وهى ابرك بقاع الأرض وأكثرها نسلا وذلك لأنها صقع صغيروفيها ثمانون مدينة من القواعد الكبار ، ومثلها وازيد من الصغار . وليس فى معمور الأرض صقع أصغر من هذا الصقع يجد فيه المسافر ثلاث مدن وأربع مدن قريبة بعضها من بعض إلا فى الأندلس . ومن بركتها أنه لا يمشى الإنسان فيها فرسخين دون ماء ولا يمشى ثلاثة فراسخ إى وجد فيها الخبز والزيت فى الحوانيت على طول سفره" (٢) .

وفى حديثه عن اشبيليه يذكر "أنها عروس مدائن الأندلس لأن عليها تاج الشرف وفى وسطها وعنقها سمط (اللؤلؤ) النهر الأعظم (الوادى الكبير) وليس فى معمور الأرض اتم حسنا منه وذلك أنه يضاهى الدجلة والفرات والنيل ووادى الأردن بالشام فى الحسن والجمال . وأهل اشبيليه فيهم حلاوة وظرف ورقاعه ووقاحه وبراعة ولذلك سميت حمص بالإضافة إلى حمص التى بالشام على نهر

---

(٢) المرجع السابق صفحة ٨١ .

الأردن . ولهذه المدينة كثير من الجنات والبساتين والرياضيات على ضفة هذا النهر . ولقد تمشى القوارب فيه تحت ظلال الثمار ثمانية فراسخ ، فيتعاطى الناس فيها السراج على عشرة فراسخ متصلة من الضفتين وذلك من حصن قبطانه إلى حصن قوره" (١) .

أما الوادى الكبير فهنا يأكد أبو بكر الزهرى ما ذكره المسعودى فى كتابه على كونها قصبة الأندلس ويذكر أن العرب أطلقوا على هذا النهر الوادى الكبير تشريفا لقرطبه دار ملك الأندلس وأكبرمدائن الأرض . وكذلك سمى الجبل الذى عليها بتاج العروس كأنه قرطبه عروس وهو تاجها إذ فيها كرومها وبساتينها وجناتها (٢) ... ثم يسترد فيصف النهر فيقول " يخرج هذا النهر من عينه صغيرا فيعظم بمد الأنهار والأودية ويجرى على الأرض عشرة فراسخ وأول ما يقع فيه ماء العين التى بحصن فرنسى فرش من عمل شفوره حتى يبلغ الحجر المسمى فى الموضع المعروف لقشتار (القشار) فتبتلعه الأرض ويغور وحتى لا يبغى منه شيء ظاهر قدر مائة مرج تحت الأرض .... ثم يخرج الوادى الكبير أكبر مما كان ويهبط إلى المسجد المعروف بمسجد القصاره ... ثم يهبط إلى الموضع المعروف ببيلج أمام مدينة أيده فيقع فى النهر المسمى بوادى الأرض فى الموضع المسمى بحصل الزيد (الزيد)" (٣) .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٨٨ .

(٢) المرجع السابق صفحة ٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٩ .

الجزء السادس المعمور : الاقليم السادس:

يشمل هذا الاقليم أفريقية وبلاد المغرب ويمتد من جبال برقة وجبال أوثان (أسوان) فى المشرق . (هذه الجبال على آخر عمل مصر وأول عمل القيروان) – حتى السوس . مساحتها ٣٣٠٠ فرسخ ، ومساحة الصقع الأول من جبال أوثان إلى أقصى المغرب حتى ضفة البحر الرومى ٩٠ يوما وعرضها من ساحل البحر إلى مدينة القيروان فى الجنوب ١٥ يوما ومن ساحل هذا الصقع إلى دارقلان (وارجلان) ٣٥ يوما ، عرضه فى المغرب عند بحر الزقاق إلى آخر السوس إلى مدينة نول ١٤ يوما ، ومن مدينة نول إلى مراكش ١٦ يوما ، ومن مدينة فاس إلى تلمسان ٨ أيام [١] .

ورغم أن هذا الجزء أصغر أقسام الأرض فقد قسم إلى ثلاثة أصقاع :

الصقع الأول :أفريقيه وتقطنه قبائل البربر ومنها صنهاجه وزناته وبرغراطه ومن مدنها المهديه وسوسه واسفاقس وتونس وبنزرت وبجاية ومليانه وزواره وقسنطينه .

الصقع الثانى : المغرب الأقصى الذى يمتد على ساحل البحر "من المشرق من جبل وانشرين (الجبل الذى على مدينة شيس) وفى المغرب الطرف المسمى بطرف أشبرتال الداخل فى البحر الأعظم [٢]

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٤ .

. ومن مدن هذا الصقع مدينة وهران ومليليه وستبته ومعموده وطنجه ومدينة قارة ومدينة تلمسان .

ويذكر أبو بكر الزهرى أن "تلمسان مدينة عظيمة فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة وهى كثيرة الزرع والضرع ولها أعمال كثيرة ..... ومنها يجلب الصوف والأسله لسوج الخيل إلى بلاد الأندلس ... وهى كثيرة البرد والثلج فى زمن الشتاء وأهلها معروفون بالخير" (١) .

وعن بلاد الصامده يقول : المصامده خلق كثير – مسيرة بلادهم عشرون يوما وعندهم بالمغرب الكسب الكثير من بقر وغنم والزرع قليل وأكثر فاكهتهم العنب والزيتون والتين" (٢) .

الصقع الثالث :السوس الأقصى الذى تمتد حدوده غربا حتى البحر الأعظم . وفى وصف هذا الأقليم يذكر أبو عبدالله محمد الزهرى أن من هذه البلاد يجلب السكر السوس إلى أفريقية والمغرب والأندلس وبلاد الروم والأفرنج ، ذلك بالإضافة إلى النيل الدرعى والشب والنحاس المصبوغ السوسى " ومن هذا الصقع يخرج "جلب الصحراء من الخدم والعبيد والعبقر وهو التبر بلغتهم . فتدخل القوافل إلى بلاد جناوه وغانه وكركو (كركر) وزافور(اصوان) وتدخل كذلك من ناقلات وسجلماسه وإليها يخرج سلبها وكل مايجلب من العبيد

(٤) المرجع السابق ص١١٦ .

(٥) المرجع السابق ص١١٨ .

والخدم والتبر والعاج الأبنـــوس وأنيـــاب الفيلـــه والجلـــود الشـــركيه ودوق اللمط وغير ذلـــك" [١] .

الجزء السابع من المعمور الاقليـــم الســـابع :

بلاد السودان وأرض الحبشه والزنـــج والنوبـــة . وتبلـــغ (مســـاحة) هذا الجزء ٣٦٠٠ فرسخ ويمثـــل الجـــزء الســـابع اقليـــم الصحـــراء وهـــو أكبر جزء فى معمور الأرض إذ يمتد من الشمال إلـــى ســـاحل البحـــر فـــى المغرب إلى حدود مصر . كذلك يمتـــد حـــده جنوبـــا إلـــى مدينـــة أزقـــى شمال خط الإســـتواء .

ومد الصقع الأول من خط الإستواء إلى بـــلاد الزنـــج إلـــى جنـــاوة وطولها مسيرة ٨٠ يوما ، ومن جناوة إلى مدينـــة نـــول مـــن الســـوس ٦٠ يوما ، ومن غانه إلى بلاد كوكو إلى بلاد النوبـــة ٦٠ يومـــا .

ويضم الصقـــع الأول بـــلاد النوبـــة والزنـــج وجبـــال الأردكـــان . وفى هذا الصقع "ينقطع البحر فيصير خلجانا كثـــيرة وذلـــك لارتفـــاع كـــرة الأرض وفيها يتكون الحـــوت المســـمى بـــالتن ..... وبيـــن بـــلاد النوبـــة وبلاد الزنج جبال الاردكانى وفيـــه الحجـــر الـــذى تصنـــع منـــه القواريـــر التى يجمع فيها سم القرود .... وفى هـــذا الصقـــع يجمـــع النوبـــة الذهـــب فى جبال تونا . وهذه الجبال عالية شـــوامخ تتـــاطح الســـحاب بعلوهـــا . لا يقدر أحد أن يصعد إليها ولا ينزل منها فإذا كان فى شـــهر تمـــوز وكـــانت الشمس فى رأس السرطان بردت تلـــك الناحيـــة وامطـــرت مطـــرا كثـــيرا

---

(١) الجغرافية – ص١١٤ .

فتسيل أودية تلك الجبال وتهبط منها مياه كثيرة من رؤوسها وأجنابها فتتكدس الرمال فى أسافل الجبال وتصنع حولها بركا كثيرة فيأتى النوبة بصحاف من الأبنوس وصحاف من قيعان ريش الطير الذى عندهم فيغسلون ذلك الرمل ويخرجون منه التبر على قدر حب القمح والشعير أصغر وأكبر [١] .

الصقع الثانى :الحبشة ويعيش أكثر قوم هذا الصقع على القطانى الذى يزرعونه على النيل وعندهم كثير من السمسم وكثير من قصب السكر ولا يعرفون غير ذلك من الفواكه إلا ماجلب إليهم من مصر والمغرب من التمر والذبيب والحرير وثياب الخز والكتان ، كذلك يجلب إليهم من الأندلس ومن افريقية الزئبق والزعفران والثياب المسرية (المصرية) . وأهل مصر يجلبون إليهم التحف ويدخلون بها أقصى الحبشة [٢] .

وقد ركز أبوبكر الزهرى كغيره من كتاب العرب فى العصور الوسطى فى جغرافيته" على الانتاج الاقتصادى للبلاد التى يزورها أويصفها وفى هذا الصدد يقول " أن فى هذا الصقع كثير من الحناء الطيبة .... وعندهم معز على قدر شوائل البقر .. وغنم على قدر فحل البقر ، جرد لا صوف لها ، تجر ذيولها على الأرض وتعرف فى مصر بالدسيات" [٣]

---

(١) المرجع السابق ص١٢١ ،١٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص١٢٤ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة

ويستعين الزهرى فى عرضه "لجغرافيته" بما ذكره غير من الكتاب فيقول عن مدينة دنجلة أنها دار ملك الحبشة طبقا لما ذكره ابن الجزار فى كتاب عجائب البلدان ".... وأن أهل هذه البلاد يجمعون الذهب فى بلادهم مثل التوبه والزنج ومن عندهم يجلب الأفلونيا وهو عقار حسن ينفع من العلل البلغمية" (١) .

أما الصقع الثالث : فينطوى تحته جناوة (كناوه) . وعاصمة هذا الصقع غانه والمسافة بين هذه المدينة والبحر الأعظم فى المغرب ثمانية أيام وإليها تدخل القوافل من بلاد السوس الأقصى والمغرب . "ومن هذه البلاد يجلب رقيق الصحراء وذلك أن أهل غانه يضربون إلى بلاد بربره واميميه ويسبون أهلها كما كانوا يصفون حين كانوا كفره . واميميه قبيلة من جناوة يسكنون على ساحل البحر الأعظم بالمغرب ويدينون بالمجوسية " وفى شرق غانه بنحو ٢٠ فرسخا مدينة قرافون (رافون) وهى أقرب مدائن الصحراء إلى دار فلان وإلى سجلماسه ، وبين هاتين المدينتين يسكن المرابطون (٢) .

النواحى الاجتماعية والاقتصادية :

لم يقتص اهتمام "الجغرافية" الأندلسية على تعديد الأقاليم والمدن الموجودة بها وأهم العجائب والاشياء غير المألوفه المرتبطة بها وكذلك استعراض مساحات الاقاليم والمسافات بين الاصقاع المختلفة ومراكز العمران بل أيضا اعطت اهمية فى استعراضها

---

(١) المرجع السابق ص١٢٥.

(٢) المرجع السابق ص١٢٦ .

للاقاليم المختلفة لأحوال الشعوب الاجتماعية . ويبدو ذلك في كثير من المواضع التى عالجت فيها النواحى البشرية . ففي وصف أبي عبدالله محمد ابن أبوبكر الزهرى لأهل الصين يذكر " أنهم قوم منجمون لهم معرفة وفطنة وعندهم علم بالرقى والعزائم – ومن عندهم اخرجها الخوارزمى إلى بلاد العراق كما أخرج من عندهم النظر إلى المرآة ..." (١) . ويستطرد بعد ذلك لوصف ديانتهم فيقرر أنهم متمسكون بدين الماجوسيه ولكن الذين يعيشون في الجزر يعبدون الشمس ولا يأكلون لحما ، وإنما يشربون اللبن ويأكلون الأرز ولا يدرون ما القمح ولا الشعير ولا زيت الزيتون ولا زيت السمسم ولا يدرون التين أو العنب ولا التمر إلا ما يجلب لهم من أرض فارس وبلاد العراق .

ويركز الزهرى على الأخلاق والدين فيكتب " أن الذين هم في بالصين الأدنى فإن قوم فيهم ورع ورقة نفوس وحسن صوره وعدل وهم يعبدون النار ومن عندهم اتخذ أهل فارس هذا الدين ومنهم من يأكل اللحم ومنهم من لا يأكله . فالذين يأكلون اللحم هم البيالق الذين ينسبوا للبيلقان . وكذلك أهل سجستان وشيران (شيران) ، وغيرهم لا يأكلون اللحم وعندهم القمح والشعير ولا يعرفون القطانى" وعندهم من الفاكهة والخوخ وأكثر فواكههم الموز والفستدق (٢) .

وعند الحديث عن الهند يتعرض الزهرى مرة أخرى لذكر موضوع الأخلاق فيكتب عن "أخلاق أهل الهند واديانهم فيقول "فلنذكر الآن صفة أهل الهند واخلاقهم واديانهم ومأكلهم ومشربهم ومايجلب

---

(١) المرجع السابق ص١٨ .

(٢) المرجع السابق صفحة ١٩ .

إليهم من الأقطار ومايجلب من عندهـــم فأمـــا اديـــانهم فيتشـــرعون بديـــن الماجوسية ، يعبدون النار ولا يذبحـــون حيوانـــا لا يوجـــد عندهـــم القمـــح ولا الشعير ولا يعرفونهما . وقد يوجد عندهم الفول وقليـــل مـــن الحمـــص وزيت السمسم وزيت السلجم وكثير من الفول الرطـــب ... ويجلـــب إليهـــم من الشام ثياب الحرير وثياب الكتان وثياب الصـــوف لأن غنمهـــم جـــرداء لا صوف لها . وثيابهم إنما هى مـــن القطـــن فلذلـــك يجلـــب إليهـــم ثيـــاب الكتان والصوف والحرير . ويجلـــب إليهـــم مـــن بـــلاد الأندلـــس الزئبـــق والكبريت الأحمر وثياب السندس الغـــالى المحكـــم ، وتجلـــب إليهـــم مـــن بلاد الصين الحرير ومن بلاد الروم النحاســـى ومـــن العـــراق قليـــل زيـــت الزيتون وقليل من القمـــح [١] .

وبنفس الاسلوب يتحدث عن اخلاق أهـــل الســـند واديـــانهم فيذكـــر "أما ما قرب منهم إلى بـــلاد اليمـــن فيتشـــرعون بديـــن النصرانيـــه .وأمـــا الذين هم فى جزائر البحر فمتشـــرعون بديـــن الماجوســـية . فمنهـــم مـــن يعبد النار ومنهم من يعبد الشمس . فأما الذين يعبـــدون النـــار فـــلا يـــأكلون اللحم ولا يذبحون حيوانا . ويتناكحون فيما بينهـــم الأب مـــع ابنتـــه والولـــد مع امه . وأما الذين يعبدون الشـــمس فيـــأكلون اللحـــم ولا يتنـــاكحون فـــى الأقارب وإنما ينكح الأخ اخته وابـــن الأخ عمتـــه [٢] .

وإذا كانت الأخلاق والأديان لها مجـــالا بـــارزا فـــى (الجغرافيـــة) فإن اقتصاديات البلاد ووصف المدائـــن مثلـــت ركـــيزة فـــى مجـــال الأدب الجغرافى الأندلســـى والممثـــل فىكتـــاب الزهـــرى فهـــاهو يتحـــدث عـــن

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢١ .

(٢) المرجع السابق صفحة ٣٣ .

اقتصاديات صقع مكة فيبيـــن " أن أكـثر طعـام أهلهـا القطـانى والقمـح عندهم قليل وكذلك الشعير ، وأكثر عيشـــهم اللبـن والتمـر ولحـوم الأبـل والجاموس . وكذلك فواكههم الموز وقليـل مـن العنـب وأكـثر ثمـارهم النخيل ... فى هذا الصقع يوجد يوجد الفرس العتيـق الـذى يسـاوى ألـف دينار ولا يوجد فى غيره ... ويجلب لهذا الصقع مـن بـلاد الشـام الزيـت والسويق ومن بلاد العراق العمائم وهـى عمـائم السـكب . كذلـك يخـرج من هذا الصقع إلى بلاد المغرب كل مايخرج إليـه مـن بـلاد الهنـد مـن العطر والعود والمسك وغيرهـا .. (١)

العجائب والغرائب فى الجغرافيـــة :

تنوعت كتابـات الجغرافيـن المسـلمين وشـملت جوانـب عديـدة أمكن فى بعض الأحيان تصنيعهـا إلـى بضعـة مجـالات بحكـم مـاغلب عليها من الاهتمام ، وإن كان كل كتـاب قـد شـمل معلومـات جغرافيـة متنوعة . والعجائب والغرائب إحدى العناصر الأساسية التـى دخلـت فـى كثير من كتب التراث الجغرافى الإسلامى ولـذا فاسـتعراض بعـض منهـا فى مجال الحديث عن أبى بكر الزهـرى وجغرافيتـه أمـر علـى جـانب كبير من الأهمية لأنها تكون وتشكل أسلوب الكتابـة الجغرافيـة فـى ذلـك العصر ومن أبرز الغرائب التى وردت فى هذا الصـدد العجـائب التاليـة

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦ .

شجرة السيرج بجهرة كولـــم :

شجرة كبيرة تثمر كل عام فـــى شـــهر نيســـان بجـــوز كبـــير وإذا كان فى شهر يونيو جمعت تلك الجوز وخـــرج منهـــا أطيـــار علـــى شـــبه الزرازير ، يطبخونها ويأكلونها ولا يـــأكلون لحـــم غيرهـــا ، ومـــابقى مـــن ذلك الجوز إلى شهر اغشت فى تلك الثمـــار التـــى تجمـــع تتفتـــح ويخـــرج منها أطيار قد تريشـــت تصفـــق بأجنحتهـــا وتطـــير حـــول تلـــك الثمـــار وتصيح فإذا مضت ثمانية أعوام من خروجهـــا تغـــوص فـــلا تـــرى بعـــد ذلك أبدا [1] .

عجائب جبل سرنديت (ســـيرلانكا)

قد ذكر من أهل التاريخ من عجائب هذا الجبـــل مـــلا يقـــدر أحـــد على وصفه ، وذلـــك أن الجبـــل عليـــه نـــور لـــه شـــعاع ملـــون كتلويـــن الطاووس ولا يخلو منه ليلا ولا نهـــارا ولـــه رائحـــة المســـك . وف هـــذا الجبل الصخرة التى نـــزل عليهـــا آدم عليـــه الســـلام وفيهـــا أثـــر قدميـــه الكريمتين . وفى هذا الجبل من الشـــجر الأنيـــق الثمـــرة بـــأنواع الأزهـــار المختلفة الألوان . وقد ذكر ابـــن الجـــزار فـــى كتـــاب " أعـــاجيب الأرض" أن فى هذا الجبل شجرا له أوراق ، للورقة منـــه وجـــه أحمـــر ، وباطنهـــا أخضر ، مكتوب فى الحمرة بالبياض " لا إله إلا اللـــه وحـــده لاشـــريك لـــه " وفى الخضرة مكتوب بالأحمر "سبحان الله العظيـــم " وكـــل ورقـــة مـــن هذه الأشجار على هذه الصفة ، وفيها أطيـــار علـــى قـــدر اليمـــام مرشـــقة (مشرقة) ألوانها تسبح الله تعالى بالســـنة عربيـــة وســـريانية ، غـــير أنهـــا

---

(١) المرجع السابق ص ١٩ ، ٢٠ .

إذا أخذ منها واحد وسجن فى قفص لم ينطق ولم يتكلم ولم يمكث أكثر من يومين ويموت . ولهذه الأطيار أصوات حنينه ، يمكن المستمع إليها شوقا وخيفة عند سماعها . وفى هذا الجبل يجلب لجميع الأرض كل نبات حسن ، وكل زهر عظيم وفيه ثمار من الأترج ، طعمه طيب ، ولونه أخضر ، عليه نور ساطع ، وله رائحة كرائحة القرنفل ، إذا أكل الأكل منها شيئا طرب به وأسرع هضم مافى معدته" (١) .

أما أرض بابل فكثيرة العجائب يوجد فى أطرافها **النساس** وهو نصف ابن آدم له يد واحدة ورجل واحدة ونصف جسم ، فإن كان منه نصف يمانى فهو ذكر ، وإن كان النصف شماليا فهو أنثى ... وهذا الحيوان يتكلم وينطق بلغة أهل البلاد . وفى هذه البلاد كانت الجارية التى ذكر المسعودى أنها كان لها رأسان فى جسد واحد وكانت تأكل وتشرب بفمين وتتكلم بواحد أحيانا وبالثانى أحيانا أخرى .. وربما تكلمت بالأثنين مرة واحدة . وهذه الجارية من عجائب الأرض (٢) .

البحيرة العجيبة : توجد فى مدينة بنزرت وهى من أعاجيب الأرض ذلك أنها بحيرتان أحدهما تستقى من البحر مالحه والثانية عذبه تأتيها المياه الحلوة من جبال الصقع فإذا كانت فى أول يوم من الشهر تصب المالحة فى الحلوه طول الشهر فلا تملح وإذا كان الشهر الثانى تصب الحلوه فى المالحة فلا تحلو .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٨.

(٢) المرجع السابق صفحة ٥٨ .

ومن عجائب هذه البحيرة أنه إذا كان أول يوم من الشهر خرج منها صنف من الحوت إلى آخر الشهر لايخرج معه حوت من غير جنسه . فإذا كان أول يوم من الشهر الثانى خرج صنف ثان لا يشبه الأول ولا يخرج معه حوت من غير صنفه حتى يتم العام بأثنى عشر صنعا لا يشبه بعضها فى الصفة . وكل نوع منها إذا خرج فى شهره يكون طيبا سمينا ، فإذا كان فى أول يوم من العام التالى خرج الصنف الأول ويقال إنما هذا يطلسم قد وضع لهذا المعنى " ويقال : بل هو من عند الله الذى هو على كل شيء قدير [١] .

منار جزيرة أريـن

من الأعاجيب المشهورة المنارة التى وصفها المسعودى فى كتاب مروج الذهب وهى منارة عظيمة ارتفاعها عن الأرض كارتفاع منارة الإسكندرية وفى وسطها طلسم من الذهب ظهره مما يلى الجنوب ووجهة مما يلى الشمال ويده اليسرى بما يلى وسط المغرب وذراعه اليمن ممايلى وسط المشرق ، وقد قبض أنامل كفه ومد السبابة إلى وسط مطلع الشمس فإذا طلعت كانت أصبعه منها فى قاع افق المشرق فكلما طلعت الشمس رفع أصبعه معها حتى تكون على سمت رأسه فيكون أصبعه واقفا معها . فإذا مالت (زالت) الشمس إلى المغرب مال أصبعه معها . فلا يزال ذلك حتى تغيب الشمس من المغرب فيكون أصبعه فى أسفل أفق المغرب " فإذا جن الليل أشار بأصبعه نحو الأرض كأنه يشير إلى الشمس من تحت الأرض حتى إذا

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٠٧ .

كان فى نصف الليل كان أصبعه فى نصف الأرض . فلا يزال كذلك باقى الليل حتى تخرج الشمس وأصبعه على الشمس فى أسفل أفق المشرق .وهذا دأبه طول الدهر " وهو أعجب مافى بلاد الهند من المصنوعات ولكن فى صقع الأندلس ماهو أعجب [١] .

قصر أخميم

هو قصر عظيم البناء قد بنى بالرخام الأسود طول الرخامة ٥٠ ذراعا وأكثر قليل ، وطوله ١٠٠ دراع فى الأرض وعرضه مثل ذلك وارتفاعه فى الهواء مائة ذراع " وقد نقش فى كل وجه منه جميع علوم أهل الأرض من علم الفلك والهيئة وطلوع الكواكب والقمر وكمال البدر ونقصانه ومشيه على منازله ... وأعجب مافى هذا القصر الطلاسم وكان عددها ١٤ طلسما سبعة منها فى الجانب الشرقى على صور الجوارى ، وسبعة من ناحية المغرب على صور الفتيان من بنى آدم جرد مرد ، وكان أهل هذه المدينة متى نزل بهم جيش أو عدد ، يأخذون تلك الطلاسم فيوقفون الرجال بين النساء ويجعلون بين الرجال سيوفا وبين النساء درقا . وكأن النساء يشرن على الرجال والرجال يشيرون على النساء وكأنهم يتلاقون بتلك الضربات . فيقع الاشتباه فى الجيش النازل عليهم حتى يقتل بعضهم بعضا . فلا ينجو منهم أحد " فيخرج أهل تلك المدينة فيأخذون سلبهم دون قتال أو نزال [٢] .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢١ .

(٢) المرجع السابق صص ٤١- ٤٢ .

الجغرافية والربط بالقرآن الكريم والحديث النبوى :

من المعروف للمتهمين بالدراسات الجغرافية التاريخية أن الاهتمام للربط بين القرآن الكريم والعلوم الكونية بدأ يظهر جليا منذ آواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين ، ويظهر ذلك إذ ماتتبعنا التراث الذى خلفه كثير من المفكرين الإسلاميين مثل أاخوان الصفا وابن طفيل وغيرهم . وقد صاحب ذلك ظهور نمط من الرحلات العلمية التى سعت للوصول للأماكن الواردة بالقرآن الكريم مثل الرحلات التى تمت فى عهد الخليفة العباسى الواثق (٢٢٧هـ ٢٣٢ هـ) حيث أمر " محمد بن موسى " إلى التوجه إلى آسيا الصغرى بعد أن حصل على موافقة الإمبراطور البيزنطى وذلك لفحص كهف الرقيم وذلك بين عمورية ونيقيا وحينما شاهد محمد بن موسى جثثا محنطة لم يقتنع بأنها جثث أصحاب الكهف الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم " وقد أورد هذه القصة عدة مصادر مثل ابن خردذابه والسرخسى الذى نقلها عن السعودى .

ويذكر ابن رسته وياقوت الحموى والادريسى والقزوينى وغيرهم أخبار رحلة أخرى أمر بها الخليفة الواثق " سلام الترجمان ليستقصى خبر ياجوج وماجوج إذ أن – الخليفة الواثق رأى فى منامه أن السد الذى بناه ذو القرنين حول ياجوج وماجوج قد انفتح وقد سار سلام إلى بلاد الخزر ثم اتجه شرقا إلى بحيرة بلكاش وعاد من هناك إلى سامراء بالعراق ويقول أنه بلغ سور الصين العظيم .

وفى إطار الربط بين القرآن الكريم والمادة العلمية ظهر فى "الجغرافية" فى كثير من مواضعها صورة جلية لهذا الارتباط حيث

انتهز أبو عبدالله محمد ابن أبى بكر الزهـــرى كـل فرصـــة لتـأكيد هـذه الصلة ويظهر هذا بوضوح فى محاولـــة ربـط الآيـات القرآنيـة بمواقـع معينة أو بيان أهمية بعـــض الأمـاكن الدينيـة بـورود بعـض الأحـاديث النبوية الخاصة بها أو القصص القرآنـــى وفيمـا يلـى نمـاذج مـن هـذا الإرتباط .

مدينة يثرب

من عجائب هذه المدينة إن فيهـا قـدم النبـى صلـى اللـه وسـلم وروضته ومنبره وقبره وفيها النخلـة التـى غرسـها عليـه السـلام بيـده الكريمة ... ومن عجائبها أن المسك فيهـا وجميـع الطيـب إذ دخلهـا زاد رائحة أضعاف مضاعفة . وقد قيل أنها أحب بـلاد اللـه إلـى اللـه لقـول رسول الله صلى الله عليه وسـلم حيـن خـرج مـن مكـة " اللهـم إنـك أخرجتنى من البلاد فأسكنى أحب البلاد إليك " ولأنـــه دعـا لأهلهـا فقـال عليه السلام "اللهم بارك فى الأنصار وأبنـاء الأنصـار وفـى أبنـاء أبنـاء الأنصار ... " وقد جاء عنه صلـى اللـه عليـه وسـلم فـى الحديـث " إن الإيمان ينجلب إليها كما بدأ منهـا [١] "

أرض المقدس

فيها البيت المقدس المعظم المذكـور فـى سـورة " سـبحان الـذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المســجد الأقصـى الـذى باركنـا حوله ... " (س[١٧] آية ١) فإن الله تعالى سـماه مباركـا : قيـل أنـه مكـان الأنبياء ومسكنهم وموضع ديارهم وفيهـا قبورهـم عليهـم السـلام . فـإن

---

(١) المرجع السابق ص٣٧ .

قيل لما سمى بيت المقدس بهذا الاسم ؟ فيقال أنها نسب إلى الأرض المقدسة وهى المباركة بقوله تعالى " يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم " (س٥ آية ٢١) .

ومن عجائب هذا البيت أنه بنى من غير حديد ، وهو من بنيان داود عليه السلام ولم يتمه فأتمه من بعده أبنه سليمان عليه السلام [١] .

جذع الشجرة التى ولد تحتها المسيح :

على مقربة من بيت المقدس الجبل المسمى بجبل بلدان (ماران – بازان) ؟ .فى هذا الجبل كان الجذع الذى ولد تحته عيسى بن مريم عليه السلام " يقال أن فى هذا الجبل أشجارا كلها مائلة تنوى السجود [٢] .

مدينة دمشق :

من عجائب هذه المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا يدخلها الدجال المسيخ " لعنه الله " وفيها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام [٣]

---

(١) المرجع السابق ص٦٨ .

(٢) المرجع السابق ٧١ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

البئر المعطل والقصر المشـــيد :

يوجد بالقرب من مصر علـــى مسـيرة مـــن سـبعة (تسـعة أيـام) على طريق الحبشة البئر المعطلة والقصـــر المشـيد .

ومن عجائب هذا البـــئر إذا وصـــل إليهـــا أحـد مـــن البعـد رأى ماءها قد خرج وفاض على فم البئر نحو عشرين ذراعـــا مـــن كـــل ناحيـــة ، فإذا قرب من البئر بنحو عشرين ذراعـــا انقبـض المـاء حتـى يصـير إلى فم البئر . فإذا بلغ الماشى إليها هبط الماء فإن أدلـــى فيهـــا دلـــوا هبـط الماء إلى قعر البئر ولوكان الحبل من ٢٠٠٠ ذراع لم يبلـــغ إلـــى المـــاء . وكلما طلع الدلو طلع الماء حتى يصل الدلو إلى فـــم البـــئر ، وكلمـــا تبـــاعد خرج على أثره حتى يصير إلى حـــده الأول . فـــإن كـــان الرجـــل راكبـــا على حصان من عناق الخيل وهم ليسرع إلـــى المـــاء انقبـض المـــاء فـــى أسرع من لمح البصر لأن الله تعالى ذكرها بالعطلـــه فـــى كتابـــه العزيـــز فقال جل تعالى " وبئر معطله وقصـــر مشـيد " س ٢٢ آيـة ٤٥ [١]

وكذلك القصر المشيد فهو جنـوب هـذا البـئر علـى قـدر رميـة قـوس أو نحوهـا . وهـذا القصـر طولـــه علـــى الأرض ١٠٠ ذراع وعرضه مثل ذلك وارتفاعه فى الهـــواء ١٢٠ ذراعـــا وفـــى رأســـه ٥٠٠ شرافه وله درج من خارجه فى الجـــانب الغربـــى عددهـــا ١٥٠ درجـــة ، وليس له باب ولا يعلم أحد بما هـــو مبنـــى . ولا يظهـــر فيـــه عمـــود ولا لبنة ولا جص ولاخيط ولا غير ذلك من آلات البنـــاء إلا لـــوح واحـــد مـــن رخام أبيض فى وسط الحائط من ناحية الشمال ممـــا يقـــابل البـــئر مكتـــوب

---

(١) المرجع السابق - صفحة ٤٠.

بالقلم السريانى " بنينا وشيدنا فمن أدعى اليوم أن يملك مثلنا فليهدم ما بنينا والهدم أسهل من البناء فلو اجتمع أهل الأرض على أن يهدموا منه شيئا ما قدروا على ذلك " س٢٢ آية ٤٥

هذا القصر وهذا البئر أعجب مافى الأرض ولذلك ضرب الله بهما المثل فى كتابه العزيز حيث قال " بئر معطلة وقصر مشيد " [١] .

مصر

لم يذكر الله تعالى من المدائن باسمها سوى مصر فقال تعالى " اهبطوا مصرا فأن لكم ماسألتم " (س٢ آية ٦١) وقال تعالى " ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين.

بحر القلزم

هو البحر الذى اغرق الله فيه فرعون وقومه ، وهو الذى انفلق لموسى بن عمران عليه السلام [٢] .

هاروت ومـاروت :

فى جبل القيصوم المغارة التى فيها هاروت وماروت وفيها كان الناس يتعلمون السحر قبل ظهور الإسلام . وكان تعلمهم على مابلغنا أن الرجل والمرأة كان يأتيان إلى باب المغارة فيريان الملكين هاروت وماروت فى هواء تلك المغارة معلقين لا يحبسهما شيء من فوق ولا من أسفل فيفزع الناظر إليهما فزعا شديدا ويرتعد ويطيش

---

(١) المرجع السابق صفحة ٤١ .

(٢) المرجع السابق صفحة ٣٨ .

عقله قال : فيقولان له : أفزعت ؟ أرجع واستغفر ربك " فإن رجع كان له خير وأن قال : لا أرجع إنما أتيت لا تعلم منكما السحر " فيقولان له كما قال الله تعالى " إنما نحن فتنة فلا تكفر " (س٢ آية ١٠٢) " ولكن أرجع أيها الرجل وهو خير لك في دنياك وأخراك : فلو رجع لكان خيرا له وإن قال لا أرجع إنما جئت لأتعلم " فيقولان له "لن تتعلم حتى تكفر بالله فتكون من أصحاب النار " فإن قال لابد لأن أتعلم "قالا له" سر إلى غد وتأتينا فنعلمك " قال : فيذهب .فإذا كان في اليوم الثاني ، يرجع إليهما ، فيعظانه كثير فإن أبى قالا له " ارجع إلى اليوم الثالث " قال له " أيها الرجل ألم يأن لك أن ترجع عما أنت فيه ؟ فإن قال " لابد من ذلك "قال له " فمن يضل الله فلا هادى له ، سر يا هذا فبل في ذلك البئر " فيمضى الرجل فيبول في ذلك البئر فيخرج من أحليله طائر أخضر فيطير نحو السماء فيغيب فيها . فيقوم الرجل فزعا مرعوبا فيقولان له " هو إيمانك قد خرج ولن يعود إليك أبدا " وإن قال لم أر شيئا قالا " كذبت أرجع وأستغفر ربك " وإن قال رأيت قال أحدهما لصاحبه : علمه أنت " فيقول له الثاني " علمه أنت وأنا أعلمه الأخرى ! "يا هذا قل كذا ؟ ويقول له الثاني " قل كذا فإنك تغلب بها أعين الناس فلا أحسن الله لك عونا على هذا ؟ " وهو قوله تعالى " فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم " (س٢ آية ١٠٢) . وقد ذكرنا ما بلغنا من تعليم السحر وما ذكره العلماء رضى الله عنهم . ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر الإسلام وانقطعت الكهانة وأيقن هاروت وماروت بقيام الساعة وخافا أن يعلما أحدا دعا الله تعالى أن يحجبهما عن أعين الناس

وخربت تلك الأرض وأرسل الله عليها أنواعا مـــن الحيوانـات المسـمومة فلا يقدرأن يدخلهـا [١] .

مدينة قوم لوط :

تقع إلى الغرب من مدينة طبرية علـــى مقربـــة مـــن دروب الشـــام وهى المدينة التى انقلبت عليهم وجعـــل اللـــه عاليهـــا ســـافلها " قـــال اللـــه تعالى " فجعلنا عاليها سافلها وأمطارنا عليهـــا حجـــارة مـــن ســـجيل " (س٢ آية ٧٤) [٢] .

سد ذى القرنين:

يبعد عـــن مدينـــة رووان فـــى بـــلاد الـــترك ٢٠٠ فرســـخا فـــى الصحراء . وطول هذا السد مســـيرة تســـعة أيـــام وكـــان عرضـــه علـــى ماقالت الترك مسيرة يومين . وقد بناه ذو القرنيـــن بزبـــد الحديـــد وأفـــرغ عليه القطر (القطران) فكان كمـــا قـــال عـــز وجـــل " فمـــا اســـتطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبـــا (س ١٨ آيـــة ٩٧) [٣] .

البئر الذى استقى منه موسى عليـــه الســـلام :

يوجد فى أرض مدين ومن عجائب هـــذه البـــئر أنـــه كـــان عليهـــا صخرة لا يرفعها إلا أربعون رجلا مـــن أجهـــد الرجـــال فرفعهـــا موســـى عليه السلام وسقى النسوه (بنتـــى شـــعيب) [٤] .

---

(١) المرجع السابق – ص ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ .

(٣) المرجع السابق صفحة ٦٣ .

(٤) المرجع السابق صفحة ٧٢ .

جبال رودنى (رضـــوى)

تقع علـــى بعـــد ٤٠ فرســـا مـــن مدينـــة بعلبـــك وفيهـــا المغـــارة المعروفة بالكهف . وفى هذا الكهـــف ثمانيـــة انـــاس يخيـــل للنـــاظر أنهـــم أحياء إلا أنهم أموات وليس معهم كلـــب .. يقـــول أهـــل الشـــام . أن مـــن هذه الجبال يخرج المهدى الـــذى يصلـــح اللـــه علـــى يـــده الأرض وزعـــم أهل العراق إن فى شعب هذه الجبال روضه محمـــد بـــن الحنفيـــه [١] .

جبل الجـــــودى

إلى الشمال من جبل الريان مدينة الحيرة (غـــــرب العـــراق وعليـــه نزلت سفينة نوح عليه السلام عند تمـــام الفيضـــان ، ويقـــال أن علـــى ذروة هذا الجبل بقية من ألواح سفينة نوح عليـــه الســـلام ، وهـــذا الجبـــل علـــى طريق الشـــمال [٢] .

كلـــــــــود

مدينة بخراسان ينسب إليها الكلدانيـــون . وهـــى كـــانت دار ملـــك النمرود ابن كنعان وهـــو فرعـــون إبراهيـــم عليـــه الســـلام . وفـــى هـــذه المدينة ولد إبراهيم عليه السلام وفيها بعث إلـــى قومـــه وفيهـــا ألقـــى فـــى النار ومنها صعد النمرود إلى الســـماء . وهـــى الآن خـــراب لا تســـكن إلا المكان الذى كانت فيه نار إبراهيم فأنه خصـــب لـــم يتغـــير [٣] .

مدينة الفيـــوم :

---

(١) المرجع السابق صفحة ٧٣ .

(٢) المرجع السابق صفحة ٥٦ .

(٣) المرجع السابق صفحة ٥٦ .

من بنيان يوسف عليه السلام ، وهـــى الأرض التـــى طلبهـــا مـــن ملك مصر حين عزله الملك (الريان بن الوليـــد) عـــن الحجابـــه . وكـــانت هذه الأرض خربه لا ماء فيها ولا مرعـــى فقـــال لـــه : (ومـــا حاجـــتك بـــها ؟) فقال له " أعيش فيها أنا وبنوا إســـرائيل " فقـــال الملـــك لأصحابـــه "الآن صح عندى فساد عقل هذا الرجل وسوء رأيـــه حيـــث طلـــب أرضـــا لا كلأ فيها ولا مرعى " . فقال له يوسف عليـــه الســـلام " أعالجهـــا عســـى ربى يبارك لى فيها " قال فلما أخذها عمرها وجلـــب إليهـــا الميـــاه بحســـن رأيه وتدبير من ربه عز وجل . فمـــا تـــم عـــام إلا وارتفـــع مـــن جبايتهـــا مائة ألف دينار . وما أنتهت المدينة حتى بلـــغ مجباهـــا ألـــف ألـــف دينـــار من الذهب . لذلك يضرب المثل فيقـــول الرجـــل : " لـــو اعطيتنـــى مجبـــى الفيوم ." فعند ذلك قال الملك " ما أعقل هذا الرجل فـــإن عقلـــه أعقـــل مـــن عقولنا واثبت وأن رأيه أحسن من رأينا . ولو لم يكـــن خـــاننى لمـــا عزلتـــه ولا قلت قولا بل رجعـــت ورددت لحجابتـــه " وقـــد قيـــل أن الملـــك هـــو فرعون موسى عليه السلام ، لقوله تعالى " ولقد جـــاءكم يوســـف مـــن قبـــل بالبينات "(س٤٠ – آية ٣٤) . وكان اسم هـــذا الملـــك الريـــان [١] .

البيت المكرم بمكـــة :

من عجائبه إن مارآه أحد قط إلا وضحـــك أو بكـــى فـــإن ضحـــك مسرورا برؤيته وإن بكى فمن خشية الله عـــز وجـــل . ولا يقـــدر أحـــد أن يمشى على متنه وإنما يمشى الـــذى يصعـــد عليـــه لبعـــض حاجاتـــه علـــى ضفتيه ولا يستطيع أن يشق من جانب إلى جـــانب لمـــا جـــاء فـــى بعـــض

---

(١) المرجع السابق – صفحة ٤٩ ، ٥٠ .

الأخبار إنه متصل بالبيت المعمور ويدل على ذلك أن القطيعة من الحمام تطير فى الهواء مجتمعة فإذا انتهت إلى البيت تفرقت يمينا وشمالا حتى تجاوزه ثم تجتمع كما كانت . وهذا البيت الذى فرضه الله سبحانه قبلة وأوجب إليه الحج بقوله تعالى : "وللـه على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا (س٣ آية ٩٧) [١] .

الخاتمة :

تعددت الجوانب الجغرافية التى تحدث عنها أبو عبدالله محمد بن أبى بكر الزهرى فى "جغرافيته" وإن كان بدأها بالاتجاه التقليدى الذى كان سائدا انذاك وهو ما يمكن أن تسميه بالجغرافية الفلكية والتى كان أول من سار وفق هذا الاتجاه ابن خرداذبه المتوفى عام ٣٠٠هـ .

ومن ثم نجد أن المادة الجغرافية التى وجدت فى أرض الأندلس تشبه تلك التى وجدت فى المصنفات الجغرافية الإسلامية الأخرى المنتشرة فى المشرق من حيث أنها اشتملت على جميع فروع الجغرافية التى انقسم إليها علم الجغرافية الحديث ، وإذا كان اهتمام الجغرافيين المسلمين بالإنسان فاق اهتمامهم بالظروف الطبيعية إلا أن ذلك لم يحول دون دراستهم للجغرافية الحيوية للمناطق التى زاروها ووصفوها ، فتحدثوا عن النبات والحيوان بصفة عامة ، كما كتب

---

(١) المرجع السابق صفحة ٣٤ ، ٣٥ .

الكثير منهم عن النبات كالأصمعى وأبـــو حنيفـــة الدينـــورى ، كمـــا كتـــب الكثير منهم عن الحيوان مثل كتاب الحيـــوان للجـــاحظ [١] .

وكما اعتمد أبو عبدالله الزهرى فـــى جغرافيتـــه " علـــى المشـــاهده فغلب المنهج الوصفى عليها فإن المسعودى قـــد ســـبقه فـــى هـــذا الميـــدان فى مروج الذهب معادن الجوهـــر كمـــا عـــاصره الأدريســـى فـــى نزهـــة المشتاق فى اختراق الآفـــاق .

كذلك اتبع الزهـــرى المنهـــج الإقليمـــى فـــى دراســـته الجغرافيـــة للمعمور ، فقد قسم الزهـــرى المعمـــور إلـــى ســـبع أجـــزاء وهـــى تقـــابل الأقاليم عند الإدريسى والبكرى الأندلسى ، وبعـــد تقســـيمه المعمـــور إلـــى سبعة أجزاء قسم كل جـــزء منهـــا إلـــى عشـــرة أصقـــاع ، وهـــى تقـــابل الأجزاء عند الإدريسى ، درس بعد ذلـــك الخصـــائص الجغرافيـــة لكـــل صقع داخل كل جزء ، بمعنـــى أنـــه اســـتخدم المنهـــج المقـــارن لتوضيـــح الخصائص الطبيعية والبشرية لكل صقع حيث بـــدأ الزهـــرى فـــى دراســـته فـــى كتابـــه "الجغرافيـــة" بتحديـــد الموقـــع الجغرافـــى والفلكـــى للأجـــزاء والأصقاع وتوضيح ما بها من بلدان ومدن وبحار وأنهـــار ومـــا بهـــا مـــن زراعات مختلفة .

---

(١) عبدالحليم منتصر – تاريخ العلم ودور العرب فى تقدمه – دار المعارف بمصر – ١٩٧٣ – ص١٨٦ .

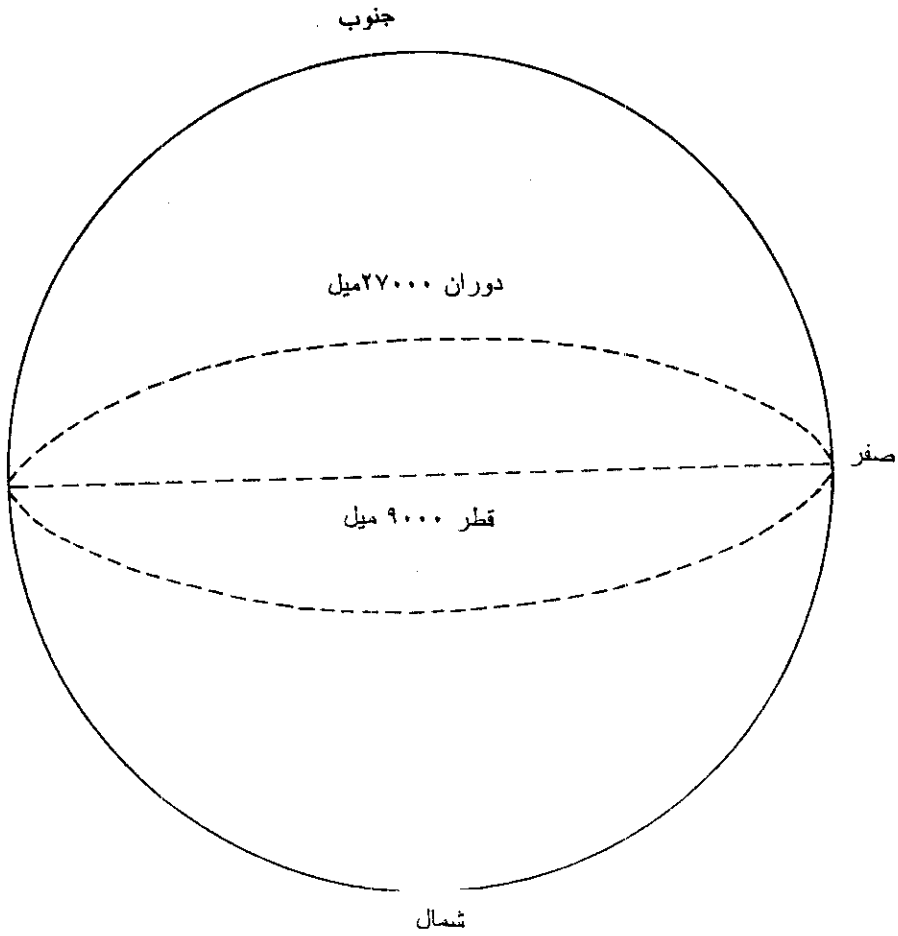

شكل (٢)تكسير الارض فى// الجغرافية //

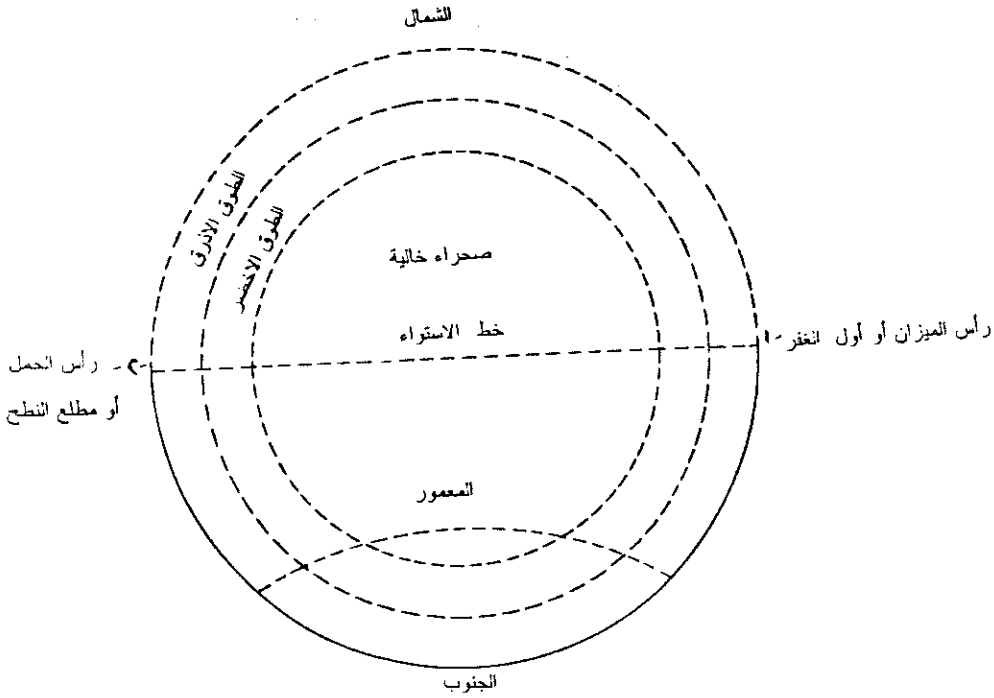

شكل (١)العالم فى الجغرافية ؟

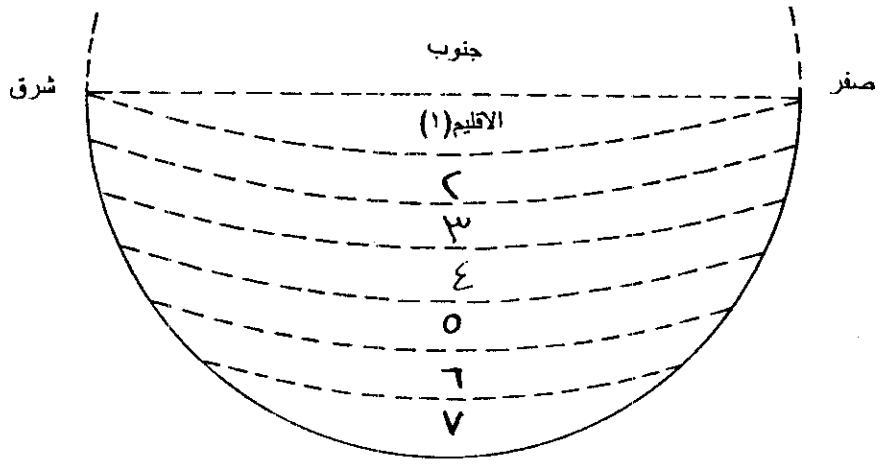

شكل (٣) الاقاليم السبعة

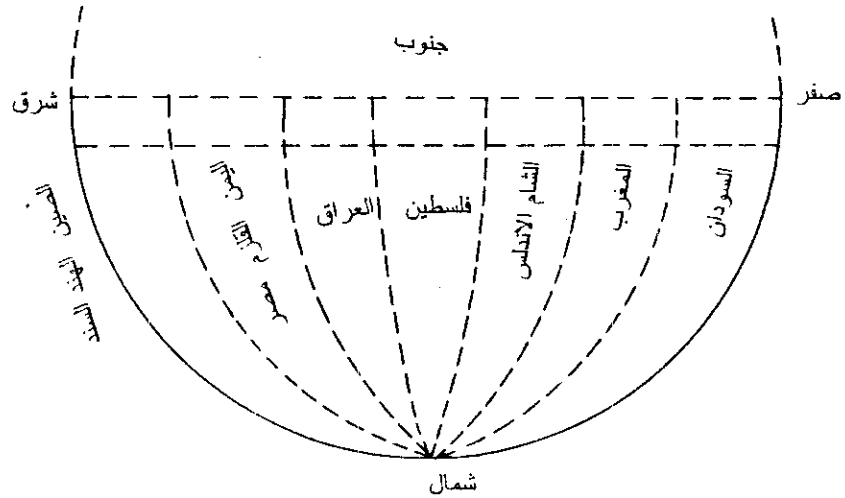

شكل (٤)اسماء الاقاليم السبعة